الرحلات الكاريبية

غرينادا وسانتا لوسيا ودومنيكا

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

قرينادا وسانتالوسيا ودومينيكا .- الرياض .

...ص ، .. سم

ردمك :٥-١٩٨-٣٦-٩٩٦٠

١-ادب الرحلات ٢ - جزر البحر الكاريبي - وصف ورحلات ٣ - المسلمون في جزر البحر الكاريبي

أ - العنوان

ديوي ٩١٧,٢٩٠٤ ١٧٩٠ / ٢٠

رقم الايداع :١٧٩٠ / ٢٠

ردمك :٥-١٩٨-٣٦-٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) - في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) - رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) - مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) - جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) - رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) - صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين – نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) - مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين – نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) - إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) - زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية – طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) - شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين – الرياض – المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) - في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) - رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) - إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) - على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) - على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) - في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) - في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) - بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) - جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) - جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) - داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) - بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) - الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) - مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) - جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) - في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) - بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) - بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) - مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) - ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) - كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) - في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) - كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) - ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) - أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) - على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) - نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) - بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) - من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) - سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) - يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) - نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) - بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) - قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) - حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) - المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) - في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) - رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) - إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) - أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) - في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) - إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) - حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) - زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) - سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور – مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م..

(٥٦) - راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) - في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية – طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) -العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية – طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) - في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية – طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) - هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) - من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية – طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) - بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال – نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) - بلاد الشركس: الإديغي – طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٦٤) - مواطن إسلامية ضائعة – مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

(٦٥) - تائه في تاهيتي – طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٦٦) - نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) - ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) - نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) - في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٧٠) -قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا. وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٧١) - معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٧٢) - أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٧٣) - الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٧٤) - كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٧٥) - نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٧٦) - مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٧٧) - سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٧٨) - صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٧٩) - العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٨٠) - نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨١) - المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨٢) - مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٨٣) - كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٨٤) - المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٨٥) - مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٨٦) - رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٨٧) - الدعاة إلى الدعوة: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٨٨) -واجب المسلمين في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٨٩) -«العالم الإسلامي: واقع وتوقعات» نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

نحمده وبه نستعين على جميع أمور الدنيا والدين، والصلاة والسلام على الهادي إلى طريق الحق والسلام، نبيه ورسوله سيدنا محمد وعلى أله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان من جميع الأنام .

أما بعد، فإن هذا كتيب من كتيبات ألفتها في جولة قمت بها إلى بعض أقطار بحر الكاريب الواقع ما بين القارتين الأمريكيتين: الشمالية والجنوبية، وكلها جزر تؤلف الواحدة منها جمهورية مستقلة في الأكثر، وبعضها أرض تابعة لدولة أخرى في قارة أخرى مثل فرنسا وهولندا ، فضلاً عن بورتوريكو التي تديرها الولايات المتحدة الأمريكية .

وهي عشر، كانت زياراتها على الترتيب التالي :

١- جزيرة المارتنيك، وهي أرض فرنسية فيما وراء البحار .

٢- جزيرة باربادوس، وهي دولة مستقلة .

٣- جزيرة قرينادا، وهي دولة مستقلة .

٤- جزيرة سانتالوسيا، وهي دولة مستقلة أيضاً .

٥- جزيرة دومنيكا، وهي دولة مستقلة أيضاً .

٦- جزيرة قوادلوب، وهي أرض فرنسية فيما وراء البحار .

٧- جزيرة انتيقوا، وهي دولة مستقلة .

٨- جزيرة سان مارتن، نصفها أرض فرنسية ونصفها أرض هولندية .

٩- جزيرة بورتو ريكو، وتعتبر أرضاً أمريكية أي تابعة للولايات المتحدة

الأمريكية.

١٠- جمهورية الدومنيكان، وهي دولة مستقلة مع كونها جزءاً من جزيرة، وهي جزيرة هيسبانيولا التي تشترك مع جمهورية هايتي في أرضها .

وهذه الجزر كلها لم تسبق لي زيارتها قبل هذه المرة، وإن كنت زرت منطقة البحر الكاريبي أكثر من مرة، وكتبت عنها كتاب : « جولة في جزائر البحر الكاريبي »، ولم يتضمن ذلك الكتاب الكلام على أية واحدة منها ماعدا بورتوريكو التي كنت زرتها في مرة سابقة لمدة تسع ساعات، وكتبت عنها فصلاً قصيراً في الكتاب المذكور .

وكنت أظن أن الكلام عن هذه الجزر العشر يكفي فيه كتاب واحد ينتظم الكلام عليها كلها غير أنني ما أن مضيت في الكتابة حتى عرفت أن الكتاب سيكون طويلاً، وقد يكون ثقيلا على اليد والجيب؛ فضلا عن النفس، فرأيت تقسيمه إلى كتيبين أو ثلاثة؛ لأن التجارب قد علمتني أن القراء الكرام يقبلون على الكتاب الصغير أكثر مما يقبلون على الكبير، ولكون بعض القراء قد يرغب الاطلاع على أحوال بعض هذه الأقطار أو الجزر دون بعض، فيثقل عليه مراجعة ما كتب عن الجميع .

فكان الكتيب الأول عن جزيرتين منها هما: (المارتنيك وباربادوس)، وسيكون هذا الكتاب - وهو الثاني - عن ثلاث، وهي: (قرينادا، وسانتالوسيا، ودومنيكا).

والقصد من كتابة هذا الكتاب مثل كل الكتب التي ألفتها في هذا الفن، وقد وصلت إلى (١٦١) كتاباً حتى الآن، هو اطلاع بني قومنا من المسلمين أهل الحواضر الإسلامية على أحوال إخوانهم المسلمين في البلدان النائية، وهو أيضاً إحياء لمجد أدبي عريض كانت لغتنا العربية السباقة بين اللغات العالمية إلى إنمائه والتوسع فيه، وهو أدب الرحلات، فكانت الرحلة المكتوبة عندهم مطلوبة لذاتها، أي لمجرد تسجيل المعلومات عن الأناسي

والبلدان التي يراها الكاتب، وكانت مطلوبة أيضاً لكونهم يسجلون فيها الفوائد العلمية، والتعليقات المتنوعة في شتى فنون العلم، إلى جانب الرواية عن العلماء والمسندين أصحاب العوالي من الأحاديث، والحفظة للآثار والأخبار، وحتى الأشعار.

ومن أمثلة ذلك (معجم السَّفَر) للحافظ السِّلَفي الذي سجل فيه كل ما صادفه في سفر له طويل من بلده الإسكندرية حتى أقصى أنحاء العالم الإسلامي، وقد أصبح لذلك الكتاب قدره العظيم عند المتقدمين والمتأخرين، ولأنه لم يوجد كله طبعت منه مقتطفات وجدت في بعض خزائن الكتب.

ولا ندعي أن ما كتبناه مماثل في المنزلة لما كتبوه، ولكنه التأسي والسير على طريق الأمجاد: طريق الأجداد، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

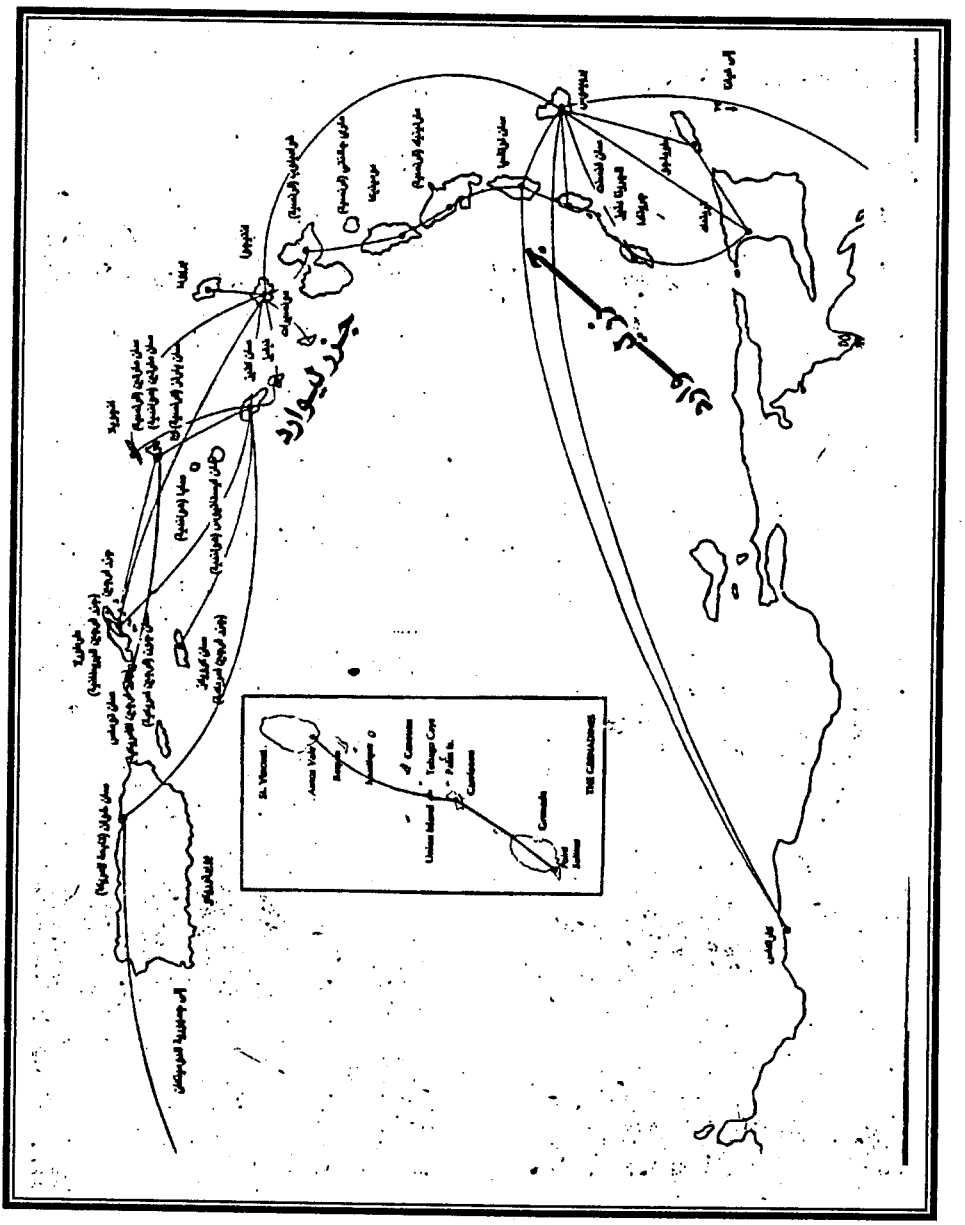

خط السير في جزر البحر الكاريبي

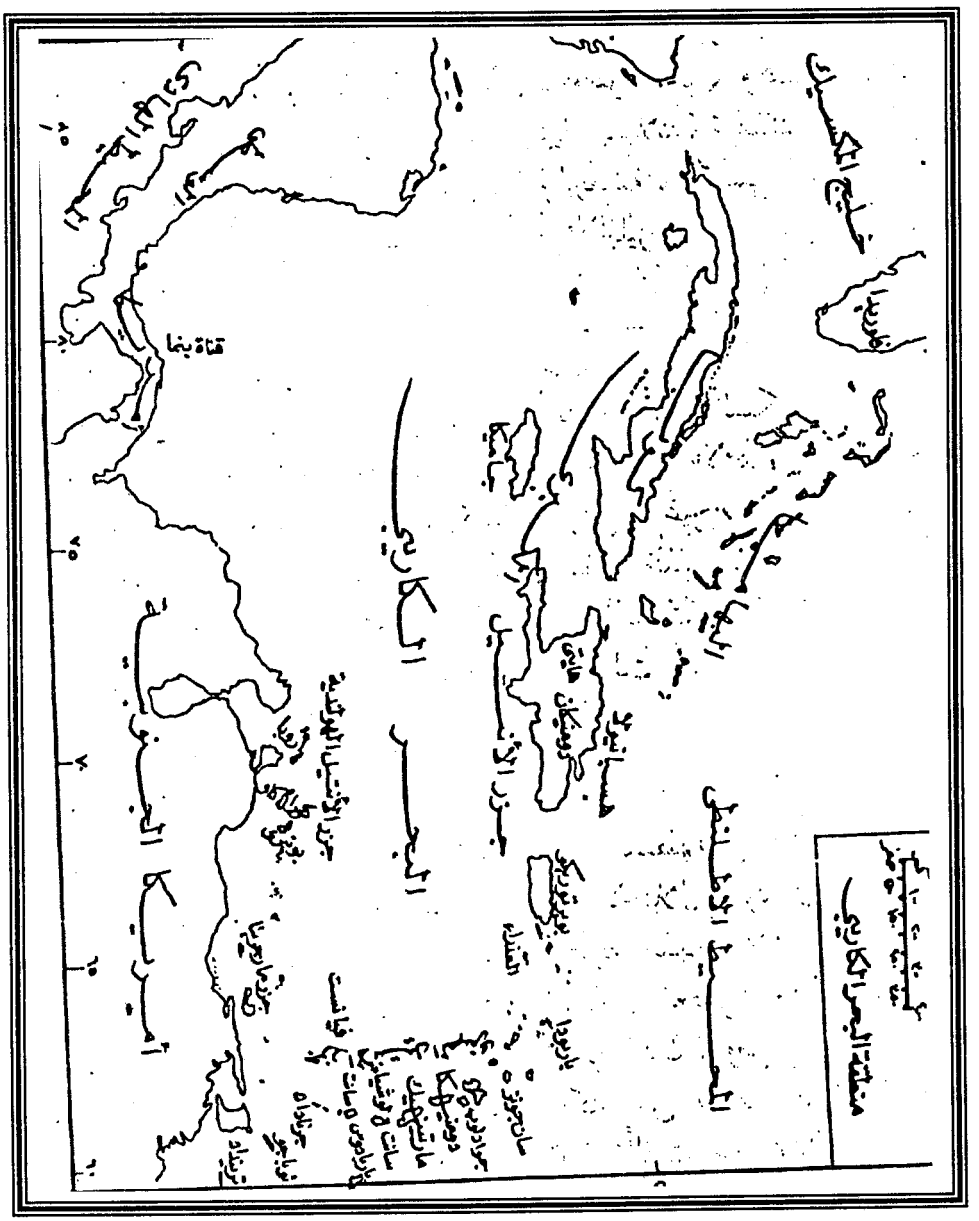

خريطة منطقة البحر الكاريبي

قرينادا

قرينادا :

معنى اسمها (غرناطة) تلك المدينة العربية الأندلسية الشهيرة؛ بل هي آخر المدن العربية سقوطاً بأيدي الإسبان.

و (قرينادا) هو لفظها الأسباني.

وقد سميت هذه الجزيرة بهذا الاسم لجمال منظرها بجبالها الخضر، وشطآنها الزرق الصافية.

أحد الأخوار الجميلة في قرينادا

وهي إحدى الجزر المشهورة في بحر الكاريب يبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة على وجه التقريب، وفي آخر إحصاء أجري فيها بلغ عددهم (٩١,١٥٠) نسمة، وعاصمتها: (سانت جورج).

ومعالمها السياحية كثيرة وشهيرة فمثلاً:

تعطي الجبال البركانية الشديدة الخضرة والشواطئ الرائعة شهرة لقرينادا ، فالجبل الرئيسي في الجزيرة: يرتفع إلى (٧٥٦. ٢) قدم فوق سطح البحر في جبل سانت كاترين. ويطل على شاطئ جراند آنس (Grand Anse) الذي يعتبر من أجمل شواطئ البحر الكاريبي بمياهه الزرقاء الشفافة.

و(قرينادا) هي الجزيرة الكاريبية الوحيدة التي تنتج توابل مثل: القرنفل، والزنجبيل، وجوز الطيب، والدارصيني بالإضافة إلى الكاكاو والموز .

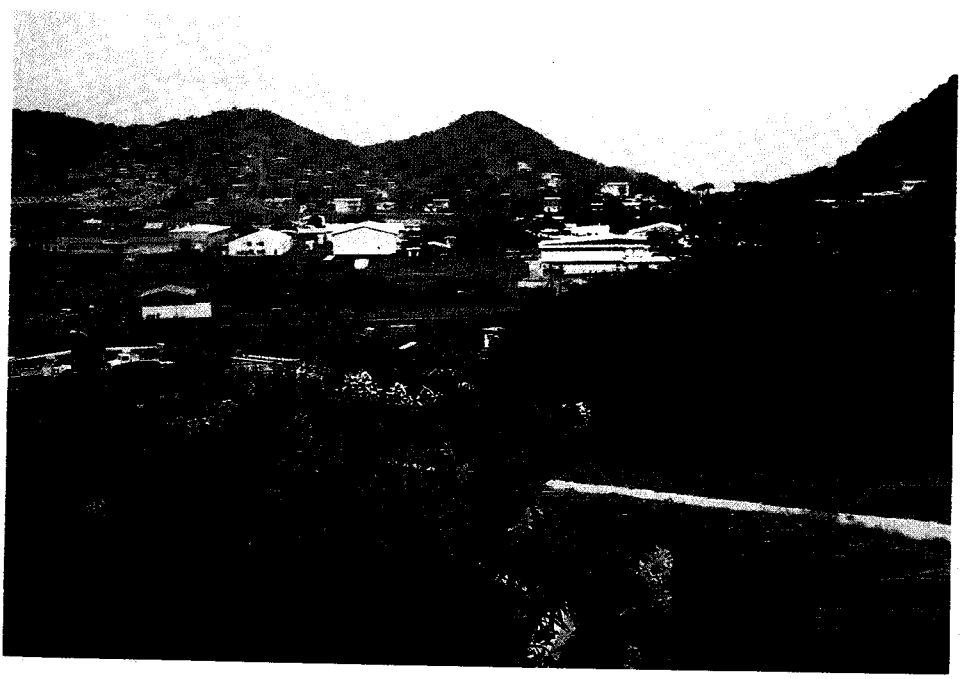

المناظر الخلابة في جزيرة قرينادا (تصوير المؤلف)

وحتى عام ١٦٥٠ م تُركت جزيرة قرينادا على حالها ، ولكن في ذلك العام قامت بعثة فرنسية من جزيرة مارتينيك بشراء مساحات كبيرة من الأرض من السكان الأصليين بكمية كبيرة من الخرز الزجاجي والسكاكين المعدنية والفؤوس؛ مما أدى إلى حدوث صراعات طويلة بين الفرنسيين والسكان الأصليين انتهت بانقراض السكان الأصليين؛ حيث قفز

آخر أربعين منهم من فوق الجبال الصخرية الشمالية التي تعرف حالياً باسم (مقفز الكاريب) بدلاً من الاستسلام للفرنسيين .

وعاصمتها: (سانت جورج)، هي مدينة جميلة مبنية على تلال خضراء، وتحيط بالميناء الرائع الجمال الذي توجد على ضفافه المطاعم والمحلات التجارية الجميلة، وهناك العديد من الفنادق وبيوت الضيافة التي تتراوح بين الفنادق الممتازة وتلك التي يديرها أصحابها ويسكنون فيها. كما أن أفضل الشواطئ في الكاريبي توجد فيها. وعلى الشوارع الضيقة لسانت جورج توجد مبان تعود لأيام حكم الفرنسيين والإنجليز .

المسلمون في قرينادا :

المعروف لنا جميعاً الذي قرره الإخوة المسلمون من أعضاء الجمعية الإسلامية في قرينادا مجتمعين أن أول مسلم هو الأخ علي الذي قابلناه وقرر ذلك قائلاً: إنه أول مسلم يسكن في قرينادا ، وقد جاء إليها من ترينداد حيث كان مسلماً أبن مسلم، وذلك في عام ١٩٤٠ م.

وهو من إخوتنا المسلمين ذوي الأصول الإفريقية، مثله في ذلك مثل أكثر السكان في قرينادا ، الذين هم من أصول إفريقية كان عمادها العبيد المنتهيين من إفريقية الذين جلبهم الأوربيون عبيداً إلى هذه المنطقة الكاريبيه لكي يتولوا فيها الأعمال الشاقة التي يصعب على الأوروبيين المستعمرين القيام بها، وبخاصة العمل في مزارع السكر.

وقد كثر دخول هؤلاء القوم - أهل قرينادا - إلى الإسلام بالنسبة إلى عدد سكانها، وحداثة دخول الإسلام إليها حتى بلغ عدد المسلمين منهم ثلاثمائة شخص، ولكن بعضهم مثل سائر السكان هاجروا إلى الولايات المتحدة وكندا، ويعرف أن أهل قرينادا هاجروا بكثرة حتى أدى ذلك إلى انخفاض عدد السكان فيها.

واليوم يعيش فيها من المسلمين ١٥٠ من السكان المحليين وما بين ١٠٠ إلى ١٤٠ من الهنود الآسيويين الذين أتوا إليها من ترينداد وغيرها من أقطار الكاريبي، وبعضهم جاؤوا للعمل مع هيئات دولية، وقد حصل أكثرهم على جنسية قرينادا، وبعضهم لا يزال على جنسيته الأصلية .

تذكارية مع أعضاء الجمعية الإسلامية في قرينادا في الريف الأخضر

ويوجد ٧٠ طالباً مسلماً يدرسون في جامعاتها التي تعترف بشهاداتها أكثر الجامعات العالمية.

من بين هؤلاء ٢٠ إلى ٢٥ من الطلبة العرب فيها، وأكثرهم يدرسون الطب.

كما يوجد في قرينادا ما بين ٣٠ إلى ٤٠ شخصاً من الشيعة لهم مكان خاص منفردون به يصلون فيه الصلوات الخمس، ويصلون مع سائر المسلمين من أهل السنة في المركز الإسلامي الكبير.

ويصلي الجمعة في المركز الإسلامي ما بين ٦٠ إلى ٦٥ مصلياً.

أما الصلوات اليومية فإن عدد الذين يصلون الفجر لا يزيدون في المتوسط على خمسة، و الظهر والعصر عشرون مصلياً .

وبذلك يصل عدد المسلمين إلى نحو أربعمائة من مجموع عدد سكان الجزيرة البالغ مائة ألف نسمة ٩٠ ٪ سود، و٥ ٪ هنود، و٣ ٪ بيض من أصول أوروبية، و٢ ٪ مختلطون، وللمسلمين مركز واسع جميل ربما كان أوسع مركز وأفخمه وأجمله في جزر البحر الكاريبي حاشا ترينداد .

وسوف يأتي الكلام عليه مفصلاً في اليوميات بإذن الله .

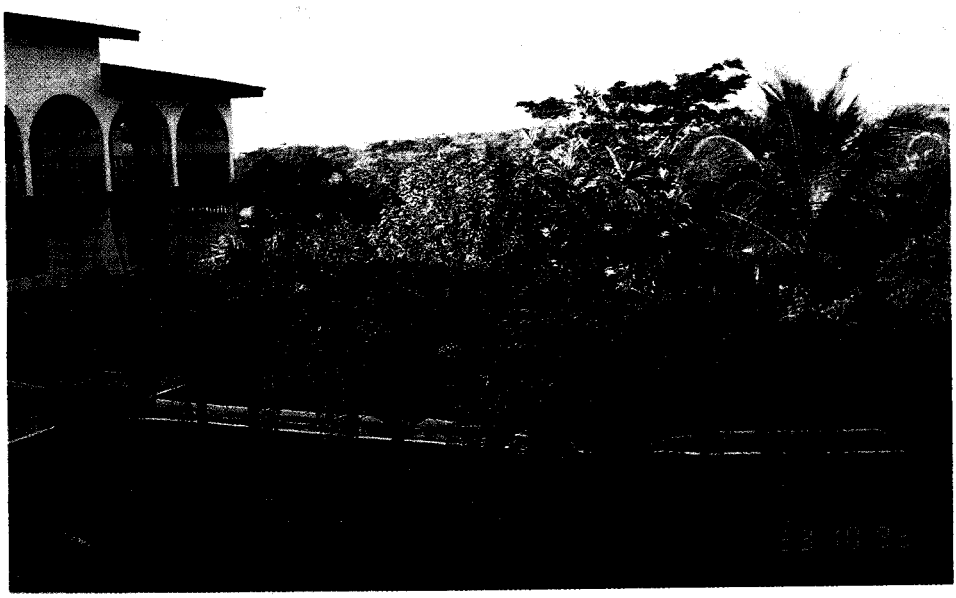

حديقة المركز الإسلامي في قرينادا مع جانب من مبناه

يوم الأحد: ٢٨/٥/ ١٤١٦ هـ ٢٢/١٠/١٩٩٥ م.

من باربادوس إلى قرينادا :

ولو أردنا الحذلقة لقلنا من (أبرج تاون) التي هي عاصمة باربادوس إلى (سان جورج) عاصمة قرينادا؛ غير أننا لا نريد ذلك، لأن مطار كلتا الجزيرتين ليس في عاصمتها، ولأنها لصغرها يعتبر المطار مطار الدولة، وليس مطار العاصمة.

خرجت مع الركاب إلى الطائرة التي ستقلنا من باربادوس إلى قرينادا سيراً على الأقدام من مبنى مطار باربادوس الضخم حتى وصلنا الطائرة التي هي صغيرة، بل حقيرة، وعدد ركابها أيضاً قليل، فهم عشرة غيري.

وهي مروحية من ذوات المحركين، من الأشياء التي استرعت انتباهي فيها أنني وأنا قريب من مكان الطيارين فيها أراهما، وهما طيار ومساعده، وكلاهما من السود من أهل المنطقة، وأسمع كلامهما، وذلك لكون اللغة الشائعة هنا هي الإنكليزية، والمراد بذلك ما بين هذه الجزر التي غادرنا إحداها وهي بربادوس ونتوجه الآن إلى إحداها وهي قرينادا، وذلك بخلاف الجزيرة التي حللت فيها أول ما وصلت إلى منطقة البحر الكاريبي، وهي جزيرة المارتنيك فإن لغتها هي اللغة الفرنسية؛ لأنها كانت مستعمرة فرنسية، ثم اختارت الانضمام إلى فرنسا فأصبحت أرضاً فرنسية.

والشيء الثاني غير اللغة هو شيء تافه، ولكنه لافت للنظر، وهو أن الموظف الأرضي للشركة يربط ريشة مروحة الطائرة اليسرى بحبل إلى جناح الطائرة، وذلك لأن الجهة اليسرى هي التي فيها بابا الطائرة، وهي التي يزودها الموظفون منها بالوقود، فيخشون أن يدور فيؤذي من يكونون حوله.

وعادتهم إذا أغلقوا الأبواب، واستعدوا لتحريك المحركين أن يبدؤوا بالأيمن ثم يفكوا حزام الأيسر ويديروه.

مجموع مقاعد الطائرة ٢٨ مقعداً، كل ثلاثة منها في صف، اثنان معاً وواحد منفرد، والممر بين الصفين.

وجميع الركاب فيها هم من السود غيري، ولا يستطيع المرء أن يفرق بينهم وبين الأفارقة بشيء؛ حتى رائحة أجسامهم المميزة لروائح الأفارقة الذين يعيشون تحت خط الاستواء هي موجودة فيهم، مع أنهم من سكان هذه المنطقة الكاريبية التي عاشوا فيها وعاش فيها آباؤهم من قبل، وذلك منذ أربعة قرون.

وفي الطائرة مضيفة سوداء واحدة، وجميع ما في الطائرة ينطق بالعناية والاهتمام رغم صغرها، فتنجيدها جيد، وجيوب المقاعد فيها حافلة بالأوراق والمنشورات المتعلقة بالطائرة، ومنها مجلة ملونة لهذه الشركة بالإنكليزية استفدت منها كثيراً لأنها حوت معلومات مهمة عاجلة عن الجزر.

غادرت الطائرة مطار باربادوس في السادسة إلا عشر دقائق مساء، وذلك قبل الموعد المحدد لقيامها في الأصل الذي كانوا كتبوه على التذكرة من قبل الشركة.

وعندما استوت في الجو بادرت المضيفة بتقديم الضيافة التي تتناسب مع حجم هذه الطائرة الصغيرة، وهي حبات من البسكويت مغلفة مع قطعة من الجبن في حجم البيضة، وكأس من شراب البرتقال، ثم صارت تبيع المشروبات الأخرى بيعاً على الركاب.

كان من متع الطيران بطائرة صغيرة الاطلاع اطلاعاً واضحاً على المنطقة التي تطير فوقها، غير أننا الآن حرمنا هذه المتعة، لأن الظلام قد خيم بسرعة بعد غروب الشمس كما هي طبيعة المناطق الاستوائية والقريبة من خط الاستواء؛ حيث تكون مدة بقاء الشفق – وهو النور الذي يبقى في السماء بعد غروب الشمس – قصيرة جداً؛ بخلاف المناطق الشمالية والجنوبية البعيدة عن خط الاستواء؛ حيث يظل الشفق مدة طويلة موجوداً في السماء، وبخاصة

في الصيف، إلى درجة أن في بعض البلاد مثل منطقة (بطرسبورج) التي كان يقال لها في زمن الشيوعيين (لينين قراد) في روسيا، ومثل جمهورية تتارستان الإسلامية، فإن الشفق لا يغيب في ليالي الصيف أبداً، ولذلك يقترن نوره في الغرب بنور الفجر في الشرق.

والطيران الآن في هذه الطائرة الصغيرة هو فوق مياه البحر الكاريبي المظلمة، لذلك لم تكن فيه متعة، ومن الطريف أن المضيفة عندما شعرت أن الركاب – وهم اثنا عشر – قد أنهوا ما بأيديهم أحضرت معها كيساً من اللدائن مفتوحاً وصارت تطلب من الركاب أن يلقوا فيه ما لديهم من نفايات من أوراق أو مناديل أو أكواب لدائن مستعملة، فلم تمسها بيدها.

ومن حسنات هذه الطائرة أن موظفي الترحيل يعطون الركاب بطاقة الوصول التي يكون على الراكب أن يملأها عندما يصل إلى البلد الذي يقصده عندما يعطونك بطاقة الصعود إلى الطائرة، لذا استطعت أن أملأها وأنا على الأرض قبل أن تطير الطائرة، وهكذا في أكثر مطاراتهم؛ بخلاف بعض الشركات التي لا تحمل حتى تلك البطاقات، فيضطر المسافر القادم أن يأخذها من مطار الوصول ويظل يملؤها، فينفق وقتاً عزيزاً عليه في الكتابة فيها.

في مطار قرينادا:

بعد ٣٨ دقيقة من الطيران بانت أنوار جزيرة قرينادا، ولم نستطع الاستمتاع باستجلاء هذه الأنوار من قرب لأن الطيار جعل ينزل بطائرته رويداً رويداً وهو على البحر حتى وصل إلى المطار الذي هو على ساحل البحر، ولم تحوّم في الجو فوق الجزيرة.

وهبطت الطائرة في المطار في السادسة والدقيقة الحادية والأربعين بعد طيران استغرق ٤١ دقيقة، والمطار صغير، وكنت أول الواصلين إلى مكتب الجوازات لقلة الواصلين إليه.

كنت مشفقاً من أن يذكروا شيئاً عن سمة الدخول لأنه ليست في جوازي سمة دخول إلى قرينادا، ولكن شركة الطيران (ليات) في المارتنيك ذكرت لنا أنها أبرقت للمسؤولين في الجزر التي قطعت منها لي تذاكر على طائراتها الصغيرة تخبرهم بأنني سوف أتوجه إلى بلادهم من دون أن أحمل سمة دخول إليها. وأخبرتني الشركة أن أكثرهم أبرق إليها بأنه لا مانع من قدومي إليها من دون سمة دخول؛ لأنهم سوف يضعونها لي في المطار.

المؤلف مع الدكتور آصف تشيدا في ميناء القوارب في سان جورج عاصمة قرينادا

ولكن موظف الجوازات لم يسأل عنها، وإنما أسرع يختم جوازي بخاتم الدخول وهو يسأل عن الفندق الذي سأنزل فيه في قرينادا، ولم أكن عرفت فندقاً فيها من قبل، إضافة إلى كون رئيس المسلمين في باربادوس قد هاتف الأخ الدكتور آصف تشيدا من الجمعية الإسلامية في قرينادا، وأخبره بأنني قادم على هذه الرحلة، وطلب منه أن يستقبلني في المطار.

وهنا وصل الدكتور آصف تشيدا إلى مكتب الجوازات وأخبرهم باسم الفندق الذي حجز لي فيه.

وقد سمح له جوازه (الدبلوماسي) الذي يحمله - لأنه يعمل في هيئة الأمم المتحدة في هذه الجزيرة، إضافة إلى ما أخبرهم به من أنني أحمل جواز سفر دبلوماسياً - بأن يصل إلى مكتب الجوازات في المطار، وقد أعطوه بطاقة الدخول فعلقها على كتفه، والدكتور آصف هندي الجنسية من مدينة بنقلور عاصمة ولاية كرناتك، وكان يعمل في جمعية الأمين الإسلامية في المدينة، وكنت زرتها، وساعدت الجمعية المذكورة.

لم أقف عند مفتش المكس (الجمرك) بسبب جوازي الدبلوماسي، وإنما خرجنا بسرعة إلى خارج المطار مما يلي المدينة، فوجدت الأخ الدكتور آصف تشيدا قد أحضر معه أخوين أحدهما الإمام يعقوب، وهو إمام المركز الإسلامي في قرينادا الذي سوف يأتي الكلام عليه فيما بعد إن شاء الله.

فندق لا مشكلة :

قال الأخ الدكتور آصف تشيدا: لقد اخترت لك فندقاً متوسط الأجر، ولكنه جيد الموقع، وبخاصة من ناحية قربه للمطار، واسمه (فندق نو بربلم) أي: لا مشكلة.

ركبنا معاً سيارة الأخ آصف تشيدا، ووصلنا الفندق بسرعة، وأنهينا إجراءات الدخول إلى الفندق بسرعة أيضاً، وعادة أهل جزر الكاريبي أن يسرعوا في ذلك، فلا يطلبون منك أن تريهم جوازك، وإنما تكتب المعلومات في بطاقة نزلاء الفندق التي يملؤونها ويعطونها للشرطة في العادة.

وانطلق معنا عامل الفندق فسرنا مع حديقة ملتفة في فناء الفندق مبعدين عن مكتب الإدارة، ثم صعدنا مع درج إلى الطابق الثاني من مبنى غرف النزلاء، وهي منفصلة بل بعيدة عن غرف الإدارة.

فأنزلوني في جناح فيه غرفة نوم، فيها سريران ومكيف كان له صوت قوي كالذي يعمل، ولكنه تبين أنه يدور ولا يبرد الغرفة مع أن الجو حار رطب راكد الهواء.

وفيها قاعة جلوس، فيها مقاعد عديدة وثيرة، وثلاجة كبيرة، ومروحة واقفة، وفي ركن منها مطبخ كامل لمن يريد من النزلاء أن يطبخ لنفسه أو لأسرته إذا كانت معه.

وتفتح غرفة الجلوس على شرفة واسعة لم نفتحها حذراً من دخول الحشرات اللاسعة.

منظر من قرينادا التقطه المؤلف من شرفة الفندق

وقد لبث الأخ الدكتور آصف تشيدا ومن معه فترة عندي أخبرتهم فيها بالغرض من زيارتي لهذه المنطقة، وما أريد منهم من ترتيب الزيارة، واتفقنا على اللقاء في الثامنة من صباح الغد.

وكنت بحاجة إلى النوم، وقد منيت نفسي بنوم لذيذ في الغرفة المكيفة

مثلما كان عليه الحال في غرفتي في فندق (أوسيس) الذي نزلت فيه في باربادوس؛ غير أن الأمر لم يكن كذلك، فكان الجو داخل الغرفة حاراً رطباً، وتبين أن السبب أن المكيف لا يعمل، فهاتفت إدارة الفندق وأخبرتهم، فأرسلوا إلي رجلاً من الفندق، فنظر إلى المكيف، ثم ذكر أنه لا يعمل، وأنهم لا يمكنهم أن يعملوا شيئاً يجعله يعمل قبل الصباح.

فطلبت منه أن ينقل المروحة إلى غرفة النوم، فصارت تبدد بعض الرطوبة؛ غير أنها لا تذهب الحر.

وعجزت عن أن يواتيني النوم غير أنني تسليت بمشاهدة شريط مسجل على (فيديو) عن حياة الوحوش في البرية، وهو ناطق بالإنكليزية، ثم صرت أقلب مفاتيح التلفاز الذي كان قد ربط بما يسمى (الكيبل) حيث يشاهد المرء منه عدة محطات تلفازية عالمية.

وكانت ليلة ليلاء خلاف ما كنت أحتاج إليه من أن أنام نوماً عميقاً في الليل حتى أستفيد من ضياء النهار في العمل المتصل.

يوم الإثنين ٢٩/ ٥ / ١٤١٦هـ ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٥م.

صباح قرينادا:

وكدت أكتبها: صباح غرناطة لكون اسم قرينادا هو أصل اسم غرناطة غير أنني قلت: ما لي ولغرناطة الأندلس، وأين مني الأندلس؟ ووجدتني أنشد مع القائل هذا الشعر الأندلسي:

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما ... كالكرى، أو خلسة المختلس

وصباح قرينادا مثقل بالسهر مثلما أن جوها مثقل بالرطوبة، وأسرعت أفتح باب الشرفة قبيل طلوع الشمس وهي الساعة التي يكون فيها ضياء بدون شمس، فهي كأيام الجنة طبقاً لما ورد في الحديث ما معناه:أن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر، فسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلا: كيف يبصر الناس ؟ ومعناه:من أين يستمدون النور. فقال الرسول ﷺ:إنهم في مثل ساعتك هذه.

صورة تذكارية للمؤلف في قرينادا

وكان ذلك قبل طلوع الشمس بقليل، ولكن الذي جعلني أفتح الشرفة في مثل هذه الساعة هو طلب الهواء النقي الذي غسل الصبح عنه بعض حره، وإن كان قد نفض عليه من رطوبته التي لم تجف. وشيء مهم آخر وهو أن الحشرات اللاسعة قد أدبرت مع إدبار الليل فأمنا لسعها. وكانت الشرفة واسعة جيدة، والمنطقة التي تطل عليها خضراء بالغة الخضرة، وهي ندية إلى درجة أن يخشى الإنسان أن يسيل هواؤها ماءً.

وهذا المنظر ليس برياً بل فيه تلال خضر متطامنة مكسوة بأشجار كثيفة وبسط سندسية خضر، وقد زينوا حديقة الفندق التي لا يعرف المرء أنها حديقة له إلا إذا أمعن النظر فرأى حدودها؛ لأن خضرتها الداكنة مختلطة بخضرة ما هو خارج عنها، بخضرته الطبيعية غير المصنوعة، وترفرف على الحديقة الريانة أشجار من أشجار البلدان المدارية الرطبة، وعلى رأسها من حيث الشموخ النارجيل النضر والأنبة (المانقو) الضخم، وأشجار أخرى لا تعرفها إذا كنت مثلي من سكنة البلدان المعتدلة الجافة.

وبلغت الساعة السادسة والنصف فنزلت إلى الحديقة الواسعة أتمشى لعلي أجد من أحادثه، فالقوم لغتهم الإنكليزية، أو أجد طعاماً أفطر به، فلم أر في الفندق كله حتى في مكتب الاستقبال إلا حارساً أسود رزيناً، والرزانة في أهل هذه البلاد الكاريبية هي الغالبة على أهلها من السود بخلاف الذين يعيشون في خط الاستواء في القارة الإفريقية، والصفر الذين يعيشون تحت خط الاستواء في القارة الآسيوية، فإن الخفة والمرح هما الغالبان.

وسألت هذا الحارث الرزين عن المكان الذي أستطيع أن أتناول فيه فطوري، فقال: في المطعم بجانب البركة. فقلت له: إنني لم أر هناك أحداً، فقال: يأتون بعد السابعة.

وبحثت عن أي شيء يسير في الحديقة فلم أر إلا قطاً أسود يبدو مستوحشاً إذ هرب مني منذ أن لمحني فذكرت أن القطط السود التي كانت كثيرة عندنا وتقلصت الآن هي أكثر القطط استيحاشاً وعدم ركون إلى

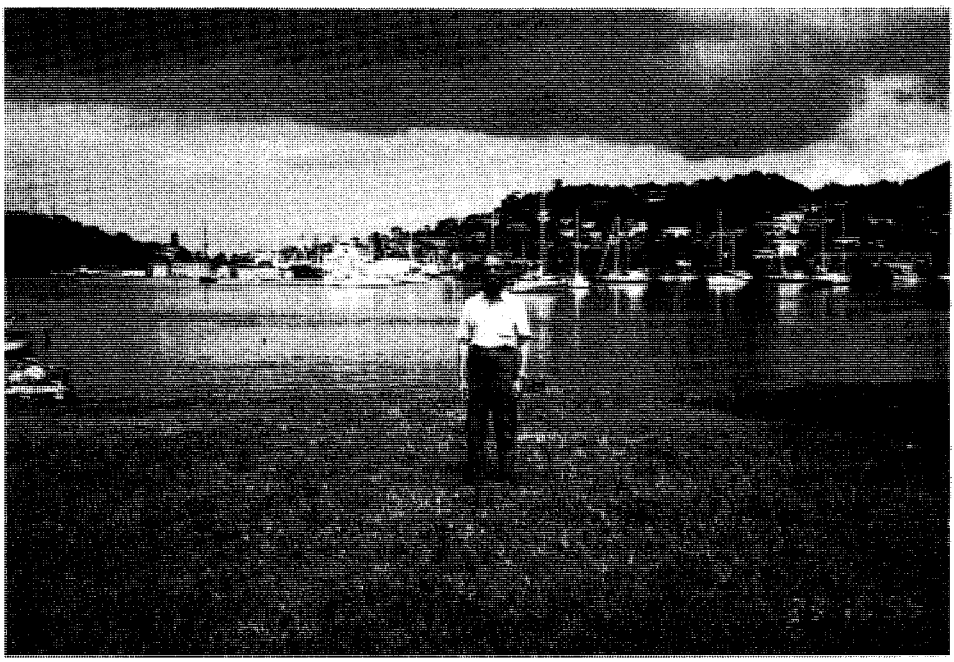

المؤلف على شاطئ البحر في قرينادا

وجاء الخيال يقول: إن سواد القطط هنا إنما هو لمناسبة سواد الناس، فذكرت أن بعض القطط الإفريقية هي بيض أو شهب، وحتى الحيوانات الأخرى يقل فيها السواد على حين أن الناس كلهم سود.

وفي السابعة حضر للمطعم رجل إفريقي سمح، والمراد بالإفريقي هنا الأسود، وإن لم يكن إفريقياً، فهؤلاء السود من سكان البحر الكاريبي قد مضت مئات السنين، ربما ثلاث أو أربع مائة سنة على مفارقة أجدادهم أرض إفريقية وسكناهم في هذه البلاد.

وأحضر ما طلبته من فطور بجانب بركة السباحة التي لم يكن فيها أحد.

كان المنظر رائعاً، فكل شيء ساكن، وكأنما ينصت لشيء قد يقال له، حتى الطيور لم أسمع لها أي صوت، ولم أر أية حركة.

ووقعت على ثمنه رخيصاً.

إلى المركز الإسلامي:

حضر إليَّ الأخ الدكتور آصف تشيدا في الثامنة طبقاً لما تم الاتفاق عليه البارحة، وقال: لحسن الحظ اليوم عطلة في قرينادا، ولذلك سأكون معك طول الوقت لأنه ليس لدي عمل.

فقلت له: شكراً. وهكذا قال لي الأخ الشيخ سلسمان بلبلية في باربادوس أمس، وقبله قال لي الأخ محمد أنجليو تين رئيس الجمعية الإسلامية في المارتنيك: لقد تقاعدت منذ أيام، ولذا سأكون معك طول الوقت من غير حرج، فقلت: الحمد لله.

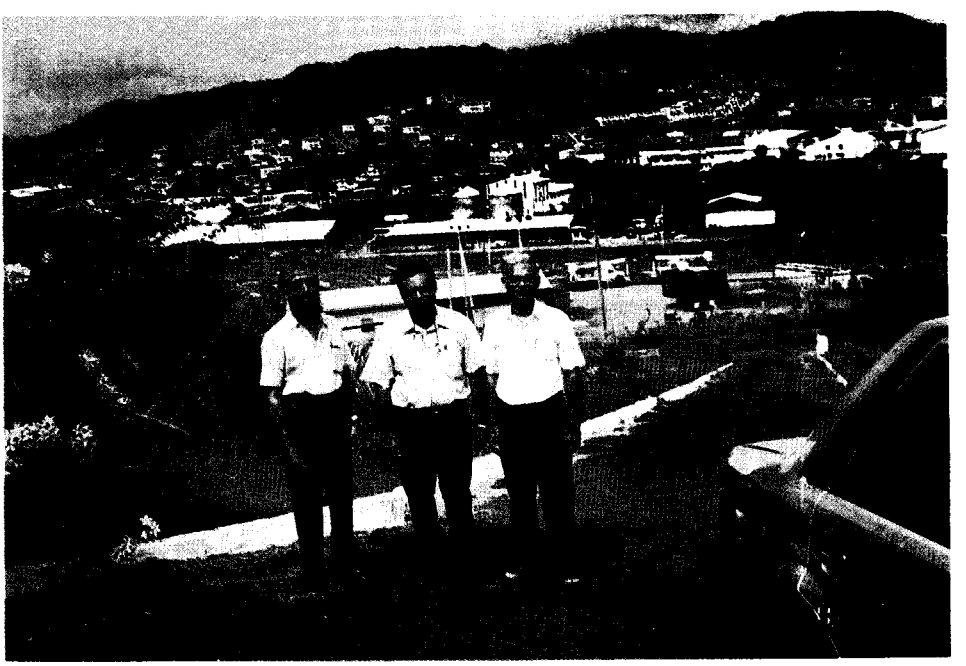

المؤلف مع الدكتورين آصف تشيدا في الوسط وعاطف على يساره في طريق المركز الإسلامي على التلة الخضراء في قرينادا

سارت السيارة لمسافة قصيرة من فندق (لا مشكلة) (نو بروبلم) مع

منطقة كالريفية إلا أنها ليست خالية من البيوت، فوصلنا إلى تلة عالية خضراء صعد إليها الأخ الدكتور آصف تشيدا بسيارته وقال وهو يشير إلى مبنى واسع: هذا هو المركز الإسلامي.

وقرأت اللافتة عليه وهي تقول بالإنكليزية: (قرينادا إسلامك فونديشن أسس عام ١٩٩٤م).

عجبت من سعة مباني المركز الإسلامي، ومن كثرتها وتعددها، فضلاً عن أرضه الواسعة أيضاً، وموقعه الفريد على رأس تلة خضراء تشرف على ما حولها حتى البحر من جهة الجنوب.

أول من أسلم من أهل البلاد:

جلسنا على مائدة مستطيلة في جانب المركز غير بعيد من المصلى الرئيسي فيه، وحضر الجلسة عدد من الإخوة المسلمين العاملين في الجمعية الإسلامية التي يسمونها (فونديشن) بمعنى المؤسسة.

وذلك في جلسة مباحثات سألتهم في أولها عن أول من أسلم من هذه البلاد: قرينادا فأشاروا إلى أخ معمر اسمه عبد الرحيم، ولم أستطع أن أعرف بقية اسمه، إذْ هو ومن حوله من أهل الجمعية يكتفون بتسميته عبد الرحيم وقالوا: إنه أول من أسلم من سكان هذه البلاد وإن كان أصله من ترينداد، فقد وصل إلى هذه البلاد عام ١٩٤٠ ميلادية قادماً من ترينداد، فأقام فيها وحصل على جنسيتها، وهو بهذا يكون أول مسلم من أهلها ولا يعرفون شخصاً إسلامه أقدم منه.

والأخ عبد الرحيم من أصل إفريقي عمره الآن ٨٦ سنة، ومعه زوجته، وهي من أهل قرينادا، أسلمت عندما تزوجها.

وحضر الجلسة الطالب المصري الدكتور أشرف محمد محمود كريم، وقد تولى الترجمة من غير ضرورة إلى ذلك فأكلمهم بالإنكليزية التي لا يشق

عليَّ التكلم بها، وهناك من أعضاء الجمعية شخصان يعرفان قدراً من العربية، وهما الدكتور عاطف قريشي وزوجته لكونهما عاشا في البحرين عدة سنوات كان الدكتور عاطف خلالها أستاذاً في جامعة البحرين.

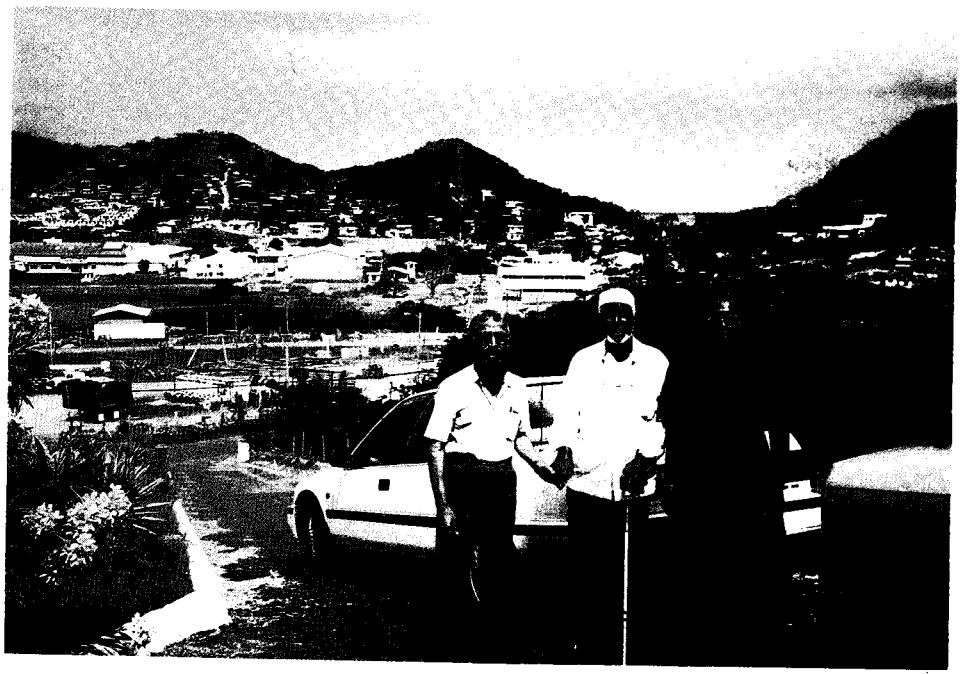

المؤلف مع أول مسلم من قرينادا وزوجته

والأخ أشرف حضر إلى هنا للتخصص في كلية طبية تعتبر – كما يقول – فرعاً لكلية طبية راقية في أمريكا، وشهادتها مساوية لشهادة تلك الكلية الأمريكية، وقد جاء إلى هذه الكلية في قرينادا قادماً من الولايات المتحدة.

المركز العظيم:

عاد الحديث مع الإخوة إلى هذا المركز العظيم الذي لا يظن أنهم وأمثالهم يستطيعون الحصول على مثله لغلاء ثمنه، وعجزهم عن إدراكه. فأخبروني أنهم اشتروه جاهزاً على أقساط بأربعمائة ألف دولار يدفعون منها كل سنة مائة ألف دولار، وأنهم دفعوا القسط الأول مما كان تجمع لديهم

من مال في عدة سنوات ومن جهات أخرى، وأن القسط الثاني يحل في شهر يناير المقبل، وأنهم لا يستطيعون الدفع، ويخشون أن يخرجهم صاحبه منه، أو أن يفسخ البيع.

وأنه يساوي الآن ضعف تلك القيمة فيما لو بيع في السوق، فمساحته كله تبلغ ٣٨ ألف متر مربع، ومساحة المبني منها ٨ آلاف متر مربع، وتلك الأبنية فيه كافية لجميع ما يحتاجه المركز من مصلى ومدرسة وغرف ضيوف ومرافق وخلافها.

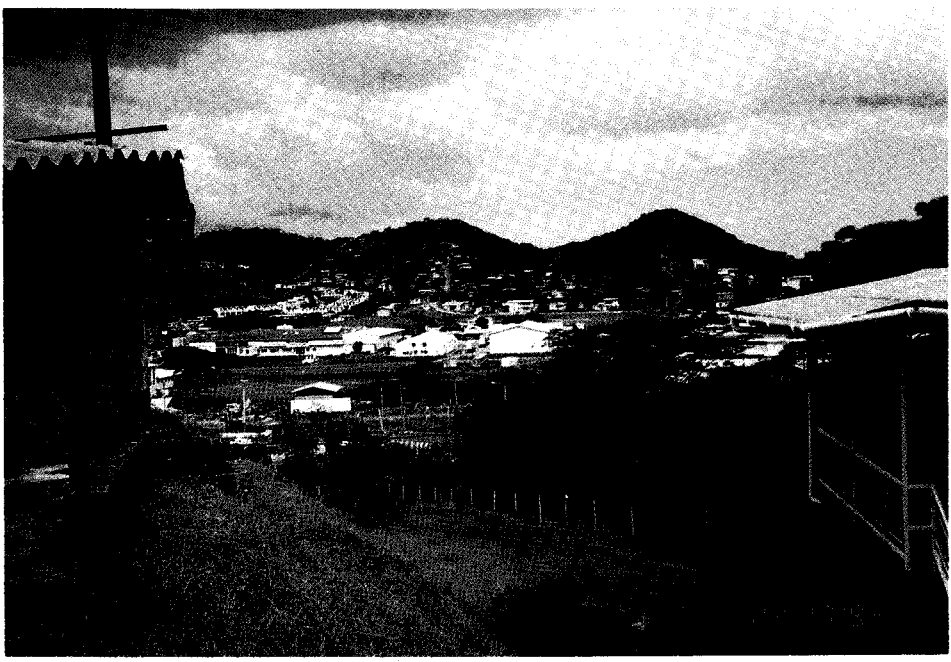

موقع المركز الإسلامي في قرينادا على تلة عالية

ومن الغريب أنهم لم يحصلوا على صك تملك هذا المحل العظيم لجهلهم وجوب ذلك، وإنما دفعوا المبلغ الذي عندهم وهو القسط الأول وكتبوا مع صاحبه كتابة موثقة بأنهم إذا دفعوا كل الأقساط ملكوه، ووجدتهم مقتنعين من كونهم لو دفعوا الثمن كله لملكهم إياه صاحبه فوراً؛ لأنه رجل طيب فيما يقولون، وكان بناه ليكون مقصفاً أو ملهى ليلياً، وزوده بكل ما

يحتاج إليه مثل ذلك المكان، ولكنه لم ينجح لبعده عن قلب المدينة، فآثر أن يبيعه عليهم لكونهم يتخذونه لعمل خيري وهو العبادة.

وقلت لهم: إنهم لا يجوز لهم أن يغلب حسن الظن عندهم على الناحية القانونية، فيجب عليهم أن يعقدوا معه مبايعة بوساطة محام جيد، ولا مانع من أن يرهن البائع المكان حتى يستوفي حقه.

ففهموا الموضوع، وكأنما أفاقوا من نوم، ووعدوا بالعمل على تحقيقه.

ولا شك في أنه رخيص جداً بهذا الثمن، ويخشى أن يفلت من أيديهم، ولذلك لا بد من مساعدتهم على دفع القسط الثاني، وهو مائة ألف دولار للبائع حتى لا يجد وسيلة يحتج بها عليهم كالتأخير في الوفاء، إلا أنني أخبرتهم أن رابطة العالم الإسلامي سوف تنظر في مساعدتهم على دفع القسط الثاني بالتبرع ببعض المبلغ، والكتابة للجهات التي تتبرع في العادة إذا زكت الرابطة المشروع من أجل إكمال المبلغ لهم.

الاجتماع بأعضاء الجمعية الإسلامية في قرينادا في المركز الإسلامي (المؤلف الثاني من اليمين)

وقد تجولت معهم في المبنى وأفنائه الخضر الواسعة، ووجدت أن صاحبه قد أفرغ وسعه في توفير كل ما يضمن الانتفاع به، حتى إنه أحضر مولداً ضخماً للكهرباء لاستعماله فيما لو توقفت الكهرباء العامة، وفيه غرف ومساكن للعاملين، وفيه قاعات واسعة، ومخازن حديثة، وقد رأيت أنه يشرف إذا صعد المرء لأعلى مكان في فنائه على البحر من جهتين، إضافة إلى المناظر الجميلة التي تقع تحته من أرض قرينادا الندية.

ثم عدنا مرة ثانية إلى مائدة الاجتماع حيث بحثنا كل ما يتعلق بأحوال المسلمين في هذه البلاد.

إلى مدينة سان جورج:

غادرنا المركز الإسلامي في العاشرة والنصف بعد أن أمضينا فيه ساعتين ونصفاً قاصدين مدينة (سان جورج) عاصمة دولة قرينادا، وإن شئت قلت عاصمة جزيرة قرينادا.

ويبلغ عدد سكان العاصمة ٤٠ ألف نسمة، وهذا ليس قليلاً إذا عرف أن سكان الدولة كلها (١٠٠) ألف نسمة.

وهذه الدولة الصغيرة استقلت في عام ١٩٧٣م عن بريطانيا، ولكنها ابتليت بتدخلات نتجت عنها مشكلات عديدة، فقد ذكر أن (كوبا) أيدت حزباً شيوعياً فيها، وحرضت رئيسه على القيام بثورة شيوعية قتل فيها رئيس البلاد غير الشيوعي وعدداً من أتباعه، وأعلن أنه يعتنق المذهب الاشتراكي، فما كان من الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس ريقان إلا أن أرسلت جيوشها المسلحة فنزلت في الجزيرة وقتل جنودها رئيس الشيوعيين الذين كانوا نصبوه عليهم حذراً من أن تمتد عدوى الشيوعية منها إلى الدول والجزر المجاورة في الكاريبي فتصبح شيوعية مثل كوبا، وكان نزولهم فيها عام ١٩٨٣م.

وسوف تأتي تكملة لهذا الموضوع فيما بعد.

وتعتبر (قرينادا) أحسن دول المنطقة من حيث جمال الموقع، ووفرة المناظر الخلابة فيها، وحتى من حيث التعليم. وقد أرسى المستكشف المعروف (كرستوفر كولومبس) في قرينادا، وكان يقطنها جماعة من الكاريب الذين نسب إليهم البحر الكاريبي، ولكنهم لم يستطيعوا الانسجام في العيش الذي يريده الأوربيون فقاوموهم، فقضى عليهم الأوربيون، فمحوا من تلك الجزيرة كلها إلا من المعتصم ببعض جبال جزيرة (دومنيكا) المنيعة، وبقوا فيها حتى الآن.

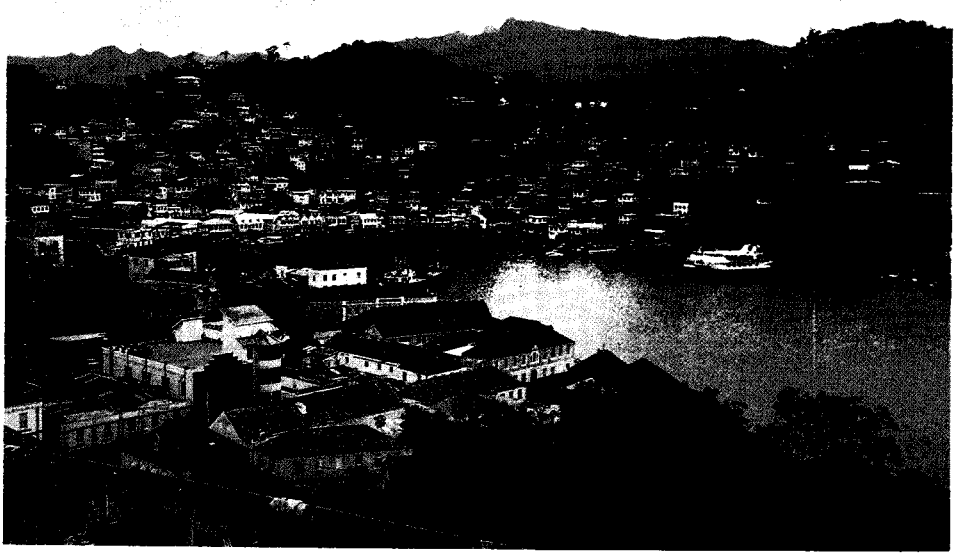

الخور البحري الجميل الذي تقع عليه بلدة سان جورج عاصمة قرينادا
(تصوير المؤلف)

انحدرنا في ذهابنا من المركز الإسلامي إلى العاصمة من التلة الخضراء التي يقع عليها المركز إلى سهل ضيق يشبه الوادي، وذلك بسيارة الدكتور آصف ولا يصحبنا أحد، ثم صعدنا طريقاً جبلياً جيد الزفلتة، إلا أنه غير واسع

وسط جنان خضر رائعة تشبه المناظر التي رأيتها في جزيرة المارتنيك لولا أن المارتنيك أحسن بيوتاً، وأكثر عناية بالمرافق العامة من قرينادا هذه.

وربما كان السبب في ذلك أن (المارتنيك) تعتبر الآن أرضاً فرنسية تنفق عليها الحكومة الفرنسية ما ينقصها من مال؛ بخلاف قرينادا هذه التي من أهم ما لديها من دخل ما يرسله أبناؤها المغتربون في الولايات المتحدة، وكندا وبريطانيا، العاملون هناك من مال.

وانحدرنا من التلة الجبلية التي كان يشقها طريقنا إلى مدينة (سان جورج) التي تقع موقعاً جميلاً، بل رائع الجمال، إذ هي في لحف هذا الجبل الأخضر، وفي أحضانه تصعد منازلها من أحضانه إلى أكتافه، ويقع خور من البحر هو ميناء طبيعي في أسفل أقدامها، بحيث لا يكاد يعطي فسحة لها أن تتمدد، وهو ميناء بحري جميل اتخذ الآن ميناء للقوارب عندما أحاطت به أبنية العاصمة، واتخذوا ميناء آخر أبعد منه عن قلب المدينة، أما ميناء القوارب هذا فاسمه (ميناء لاقون).

أخذني سحر المنظر، وكان المطر ينزل منذ أن غادرنا المركز الإسلامي، فطلبت من الأخ الدكتور آصف أن يوقف السيارة في شارع البحر، ويكاد يكون هو الموضع المطمئن من الأرض قبل الجبل، والتقطت صوراً تذكارية للمنطقة ولي فيها.

وتطالع المدينة قمة جبلية عليها القصر الذي ضربه الجيش الأمريكي وقتل فيه الرئيس الشيوعي عام ١٩٨٣م، وهذا الرئيس الشيوعي واسمه (موريس بوش أب) كان قد دعا الكوبيين إلى قرينادا، وأعطاهم قصراً ضخماً بعد أن كان قتل رئيس البلاد الديمقراطي واسمه (برنارد كود)، فنزل الجيش الأمريكي في الجزيرة في شهر مارس عام ١٩٨٣م، وغادرها راحلاً بعد أن أكمل مهمته فيها في أكتوبر عام ١٩٨٣م.

وتتمتع البلاد الآن بنظام حكم ديمقراطي.

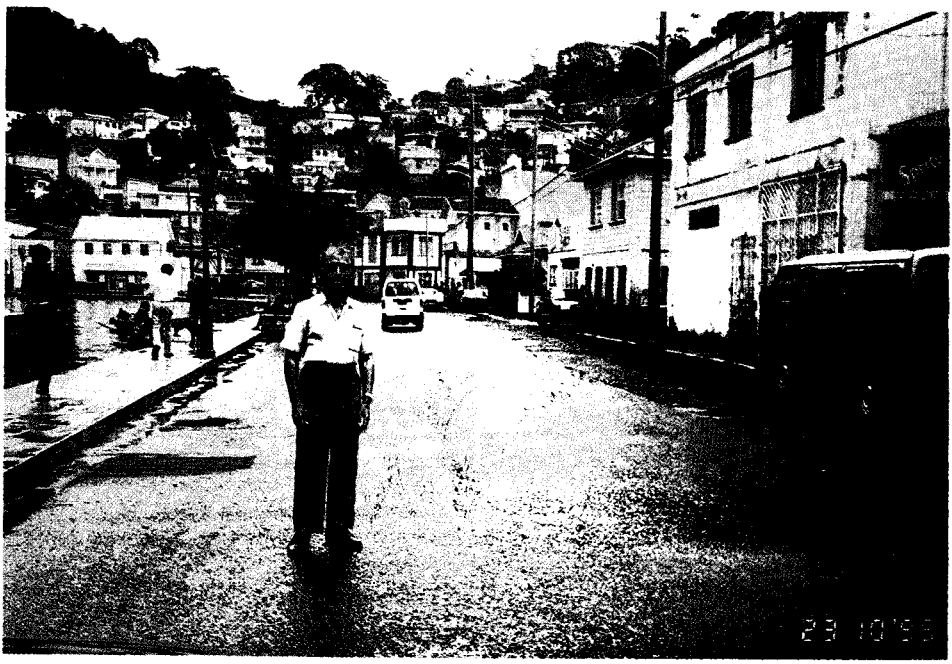

المؤلف في شارع الشاطئ في بلدة (سان جورج) عاصمة قرينادا

لم أستطع مفارقة وسط مدينة (سان جورج) لأن جمال الموقع أسرني فوقفت فيها ملياً أتأملها ، وتمنيت لو بقيت فيها أكثر من ذلك.

ولا سيما هذا الخور المتسع الذي تحيط به التلال الخضر ترصعها المنازل الجميلة.

وأما الشعب فإنه الشعب الأسود الإفريقي الأصل الموجود نظيره، ولا نقول قريبه ، في جزر البحر الكاريبي الأخرى التي زرتها أو سأزورها.

لقد قلت: إن هذا الشعب نظير الشعوب الأخرى في هذه الجزر الكاريبية ، ولم أقل قريبه ، لأن الشعب مؤلف من أفارقة جلبهم الأوربيون عبيداً إلى هذه البلاد لا يعرف الشخص منهم قبيلته الآن ، ولا حتى في ذلك الأوان لكونه أبعد عنها ، ولم يعد يعرف عنها أي شيء ، لا سيما أنهم فرقوا في المزارع والنواحي التي يملكها الأوربيون ، ولم يسمح لهم بالاتصال فيما

بينهم، لكون البلاد لم تكن فيها كثافة سكانية في ذلك الوقت يمكن أن تنشأ منها مدن حافلة بالسكان.

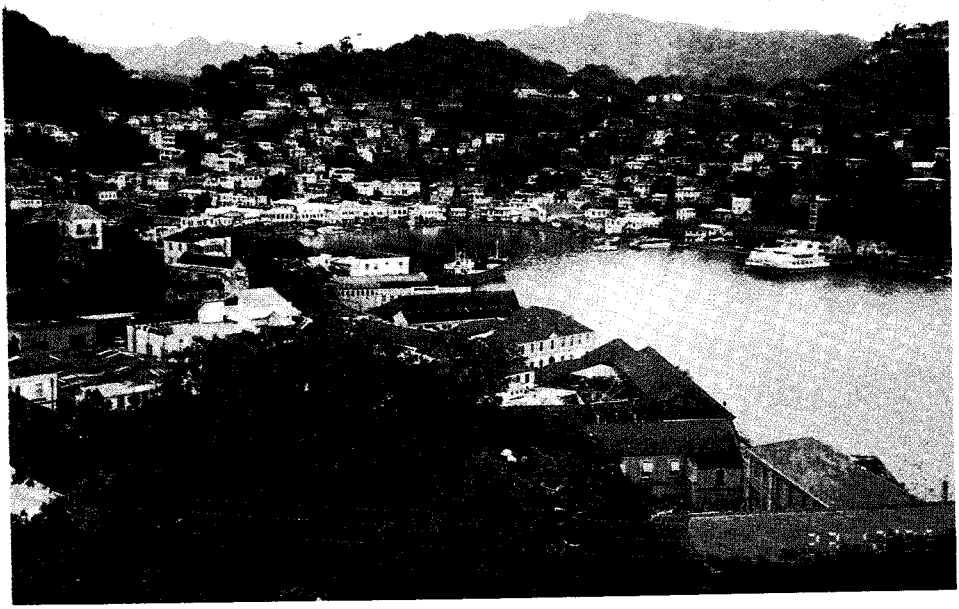

بلدة سان جورج عاصمة قرينادا كما صورتها من القلعة

وبينما كنت أتأمل هذا المكان مأخوذاً بجماله سمعت الدكتور آصف تشيدا يقول: إن قرينادا أجمل جزيرة في البحر الكاريبي، فقلت في نفسي: إنها أجمل جزيرة رأيتها حتى الآن في جزر البحر الكاريبي، وعرفت لماذا سميت بقرينادا على اسم (غرناطة) الأندلسية، وإن كان الذين سموها بهذا الاسم هم الفرنسيين، وليس الإسبان أهل غرناطة الأصليين.

كانت الحوانيت في السوق مغلقة، لأن اليوم عطلة في البلاد، وقال الإخوة: إن ذلك لمناسبة ذكرى وصول الأمريكيين إلى الجزيرة وتخليصها من الشيوعيين، وقد صار ذلك عيداً يتكرر عندهم في كل عام، وبسبب العطلة صار الناس قليلاً في شوارع المدينة.

ورأيت بسطة وهي في عرفنا في بلادنا البضاعة المنشورة على الرصيف

غير معروضة في حانوت، وحولها امرأة ورجلان طلبت أن ألتقط معهم صورة تذكارية من أجل أن أعرض على القارئ الكريم أنموذجاً لسكان البلاد، فكان أن وافقوا، وقال الأخ الدكتور آصف: إن القوم طيبون وودودون، فقلت: هذه خصال عرفتها في مواطني هذه المنطقة الكاريبية، وذكرني هذا بمواطن أخرى في أنحاء بعيدة كان بعض الناس فيها لا يقبل أن تلتقط له صورة، وبعضهم يشترط أن يكون لذلك ثمن، كثيراً ما يغالي به فيكون كثيراً، ومن ذلك منطقة التبت في جبال الهملايا، ومناطق في جبال الأنديز، وإن كنت أيها القارئ الكريم تريد معرفة ما كتبته عن تلك المناطق فيمكنك أن تقرأ كتابي عن التبت الذي عنوانه: « على سقف العالم »ولا يزال مخطوطاً، وعدة كتب لي عن جبال الأنديز ومنها: « على قمم جبال الأنديز »، و « بين الأرغواي والبارغواي » وهما مطبوعان.

والبضائع الموجودة في البسطة التي ذكرتها أكثرها تذكارات من تماثيل صغيرة لطيور وحوانيت من هذه المنطقة، ولوحات، ونقول، وهي التي نسميها المكسرات، وحلوى محلية من صنع محلي، وكلها لا يناسبني.

ريقان بين قرينادا ولبنان:

أرسل الرئيس الأمريكي عدداً قليلاً من جيشه الجرار المدجج بأسلحة الفتك والدمار إلى هذه الجزيرة الصغيرة المسماة قرينادا التي تكاد تضيع في خضم مياه البحر الكاريبي، وقد نجح نجاحاً كاملاً فيما أراده؛ حيث قضى جيشه على رئيس الوزراء الشيوعي وأنصاره وهم الذين قتلوا رئيس الوزراء الديمقراطي وأنصاره من قبل.

ذكرت ذلك لكوننا الآن ذاهبين إلى القلعة التي تحصن فيها الشيوعيون لمشاهدة مسرح هذه الحركة المهمة.

صعدنا صعوداً حاداً إلى كتف تلة تكاد تكون واقفة حيث توجد قلعة حصينة هناك وفيها كان يتحصن الرئيس الشيوعي السابق (موريس بوش

أب) فأنزله الجيش الأمريكي من عليائه قتيلاً هو وأنصاره الذين دافعوا عنه، وقتل من الأمريكيين (٢٠) جندياً فقط.

وقد استنكرت دول ومؤسسات عالمية عديدة إرسال الجيش الأمريكي إلى قرينادا في ذلك الوقت وهو عام ١٩٨٣م حتى من بعض الدول التي لا تؤيد الشيوعيين، بل تحاربهم، ولكنها في الوقت نفسه لم تر أن تغزو دولة كبرى دويلة صغيرة من أجل تغيير نظام الحكم، وبسط النفوذ فيها.

وقد رحل الجيش الأمريكي بعد أن بقي نحو سبعة أشهر، وبعد أن حقق أهدافه كلها فيها، وبعد مدة جاءت مناسبة ثانية فرأى الرئيس الأمريكي رونالد ريقان أن يرسل لها جيشه ليلقى النجاح مثلما لقي في قرينادا.

وكان الهدف هذه المرة هو لبنان، ولم يدر بخلد الرئيس ريقان أن قرينادا لا يصح أن يقاس عليها لبنان، إذ أرسل جيشه إلى لبنان، ولكنه خسر في تدمير السفارة الأمريكية في بيروت، وفي نسف البناء الضخم الذي كان يقيم فيه جنود البحر الأمريكيون (المارينز) ما يقرب من ثلثمائة إنسان، مما اضطره إلى أن يسحب جيشه من لبنان وهو يجر أذيال الفشل والخسران، بعد أن عرف أن قرينادا لا يصح أن يقاس عليها لبنان.

قلعة سان جورج:

هذه القلعة التي صارت تاريخية بما جرى فيها من الأحداث المهمة التي غيرت مجرى التاريخ في هذه البلاد القريناديـة اسمها (فورت سان جورج) بمعنى: قلعة سان جورج.

وتطل على منظر بل مناظر في غاية الروعة والجمال، سواء منظر العاصمة سان جورج التي يقع أسفل التلة التي فوقها القلعة، أو شاطئ البحر غير البعيد، والتلال الجبلية الخضر.

ولم تستطع الذكريات بل الأحاديث والماجريات المليئة بحديث القتل

والتدخل الأجنبي أن تمحو الأثر العظيم الذي أحدثته في نفسي هذه المناظر الرائعة.

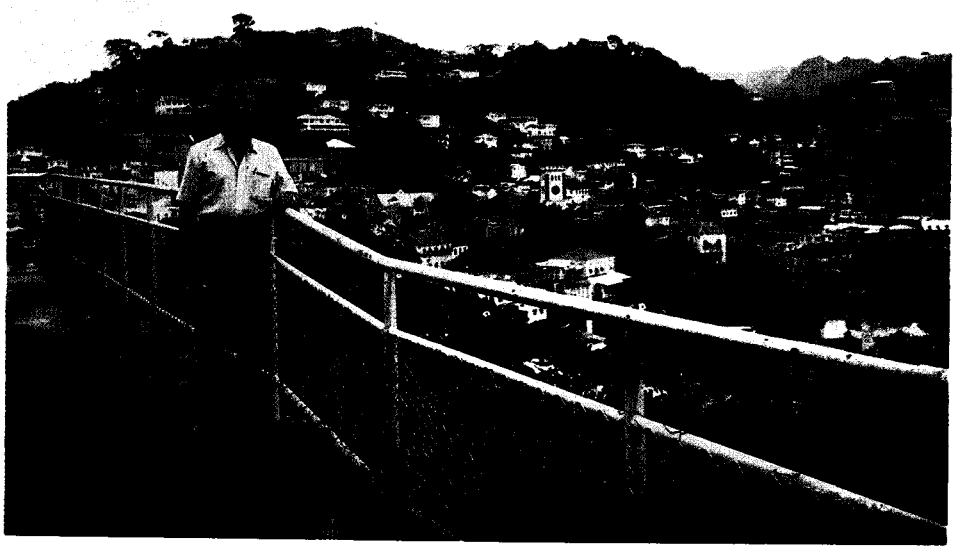

المؤلف يقف في جانب من سور القلعة المشرفة على مدينة سان جورج عاصمة قرينادا

وعندما رأيتهم من هذا المكان المرتفع قد اختاروا للعاصمة هذا الموقع الذي يكاد يعتبر كالقلعة المغلقة من ثلاث جهات لكونها محاطة في هذه الجهات بالتلال الجبلية الشامخة ما عدا الجهة الرابعة التي هي جهة البحر قلت لرفيقي الدكتور آصف: إنه لو كان موقع هذه العاصمة في منطقة باردة لحكمت بأنهم اختاروا هذا الموقع لها من أجل أن يتفادوا هبوب الريح الباردة المباشر عليها، أما والمكان مداري وشبيه بالاستوائي فإنني لا أعرف السبب في ذلك.

فضحك وقال: هناك سبب وجيه، ويتعلق بالطقس مثلما يتعلق البرد به، ولكنه غيره، ذلك أنهم اختاروا هذا الموقع للعاصمة من أجل أن يحموها من

العواصف والأعاصير التي تزور هذه المنطقة في بعض الأحيان، وآخرها الإعصار الذي ضرب جزيرة (سان مارتن) التي ذكرت أنها في برنامج زيارتكم للمنطقة.

ونلاحظ أن اسم القلعة يدل على الصيغة الفرنسية، وهذا هو الواقع، إذ الذين بنوها هم الفرنسيون، ولكن الإنكليز أخذوها بعد ذلك، وصارت قرينادا من ممتلكات التاج البريطاني، ولا يزال فيها حاكم تعينه ملكة بريطانيا، ويسكن حاكم قرينادا في هذه القلعة في الوقت الحاضر.

وسألت عن وجود الإنكليز في هذه الجزيرة التي كانت لهم فيما مضى من الدهر فأخبرني أهل قرينادا أن الإنكليز الآن فيها قليل أو أقل من القليل، وأن أكثر الذين كانوا موظفين، أو حتى في الأعمال الحرة هجروها بعد أن استقلت، ورجعوا إلى إنكلترا، أو هاجروا إلى الولايات المتحدة أو كندا.

المركز الإسلامي القديم:

انحدرنا من القلعة مع جانب آخر فوصلنا سوقاً للخضار لا حركة فيه بسبب العطلة، ووجدنا أناساً يبيعون الموز رخيصاً وهم كأمثالهم من سكان البلدان المدارية المطيرة يزرعون الموز أنواعاً منوعة، منه الأخضر الذي يطبخ طبخاً ولا يصلح أن يؤكل أكلاً، ومنه الكبير المعتاد الذي نعرفه، ومنه نوع ثالث صغير الحجم، لذيذ الطعم، يسمى في بعض البلدان الاستوائية بالسكري، وذلك لحلاوة طعمه، ورقة قشره، وعيبه أنه لا يصبر على الخزن ولا على التصدير للخارج، وإنما يؤكل في مكان إنتاجه، وإلا تعرض للفساد.

ولاحظت أن أسعار الخضرات واللحوم هي هنا أرخص منها في باربادوس، فمثلاً اللحم البقري يباع الكيلو الواحد منه بما يعادل أربعة دولارات ونصفاً.

ثم رجعنا إلى قلب مدينة سان جورج الذي سبق أن ذكرته عند أول

وصولنا للعاصمة، وذلك لزيارة أثر من آثار الكرم الإسلامي الأصيل متمثلاً في منزل في وسط المدينة المهم أباح صاحبه للمسلمين أن يتخذوه مركزاً إسلامياً يقيمون فيه الصلوات ويجتمعون فيه بدون أجرة لمدة ثمان عشرة سنة.

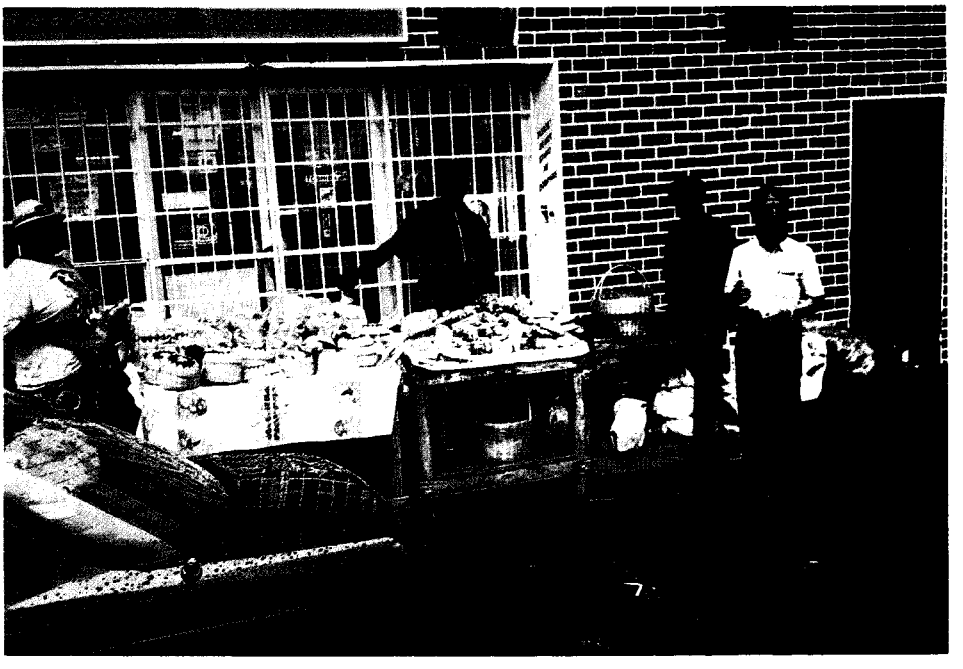

المؤلف عند دكان يبيع الحلوى والتذكارات مع رجلين وامرأة من أهل قرينادا

وصاحبه هو الرجل المسلم المحسن الذي اسمه (نثار أنصاري رحمان) وهو من أهل ترينداد إلا أنه هندي الأصل، وهنديته مشرقية آسيوية، وليست غربية أمريكية.

أردت أن أزوره في بيته وأسلم عليه وأشكره باسم رابطة العالم الإسلامي التي تمثل الشعوب والجماعات المسلمة في مجالسها على هذه المكرمة العظيمة؛ حيث سخت نفسه بأن يبيح للمسلمين اتخاذ مسكنه لمدة ١٨ عاماً مركزاً إسلامياً دون أن يتقاضى على ذلك أجراً.

ولم أجده؛ بل قال أهله: إنه سافر خارج البلاد، وأظنهم قالوا إنه ذهب

إلى الولايات المتحدة ويعمل في التجارة.

وهو الآن نائب رئيس المؤسسة الإسلامية التي هي الجمعية الإسلامية الرئيسية في هذه الجزيرة.

بيت رئيس الوزراء:

قال الأخ الدكتور آصف تشيدا: سوف أريكم أنموذجاً لبيوت المسؤولين في هذه الجزيرة، إنه بيت رئيس الوزراء، فصعدنا إلى كتف إحدى التلال الجبلية المحيطة بالعاصمة، فرأينا منزل رئيس الوزراء، والحقيقة أننا لم نرَ منه إلا بوابته وفناءه الخارجي، لأن البيت غارق في الجنات الخضر، ولا تمكن مشاهدته بسبب الأشجار الخضر الكبيرة الوارفة الظلال الذي تحيط به رغم أن السماء كانت غائمة وأن المطر كان ينزل رذاذاً.

فانتهزت الفرصة والتقطت صوراً للمنطقة ولمستديرة هناك، ولم أرَ حرساً أو من شابهوهم نظروا إلينا، فضلاً عن أن يكونوا منعونا من الاقتراب من البيت، مع أننا لم ندخله.

وقال الأخ الدكتور آصف: إنها جنة، فقلت: نعم، ولكنها حارة، لأنني تذكرت ليلتي البارحة عندما منعني الحر من النوم في الفندق لكون المكيف في الغرفة لا يعمل.

ونسيت أن أذكر من الأشياء الطريفة أن المكيف من طراز أمريكي مستعمل عندنا، بل كثير الاستعمال، ولذلك وجدت التعليمات المتعلقة بتشغيل المكيف، وتخفيف برودته وإشعاله وإيقافه كلها مكتوبة باللغة العربية إلى جانب الإنكليزية، وذلك بلا شك ناشئ عن كونه كان جزءاً من عدد من المكيفات كانت معدة للتصدير إلى بلد عربي كبلادنا، ولكنها أرسلت إلى هذه البلاد بسبب من الأسباب، مثلها في ذلك مثل طائرة من طائرات خطوط بنما، ركبت فيها من مدينة مكسيكو عاصمة جمهورية المكسيك إلى

بنما، فرأيت التعليمات والإرشادات التي في الطائرة مكتوبة بالعربية والإنكليزية دون غيرها من اللغات، مع أن المنطقة تعتبر منطقة نفوذ للغة الإسبانية، وإن كانت بنما تتخذ اللغتين الإسبانية والإنكليزية لغتين رسميتين.

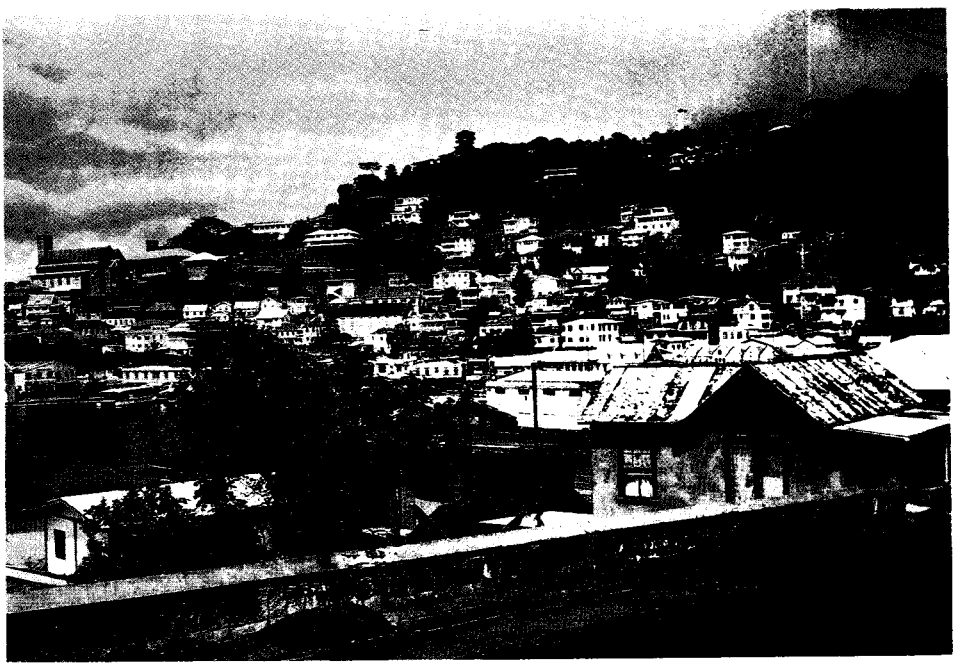

جانب من بلدة سان جورج عاصمة قرينادا

واعتقدت جازماً أن بنما قد اشترت هذه الطائرة من إحدى الدول العربية، أو استأجرتها منها.

وأكرر القول هنا بأن الشعب هو شعب أسود لا فرق بينه وبين الشعوب الإفريقية خلف الصحراء، وذلك بسبب أصوله الإفريقية.

ولم ألاحظ كثير أطفال في الشوارع على خلاف العادة في مثل يوم العطلة هذا، إذْ المفروض أن يكون الأطفال قد تركوا مدارسهم، وبقوا في بيوتهم فخرجوا إلى الشوارع.

فسألت عنه بعض الإخوة بعد ذلك فذكروا أن العادة هو أن تكون الأسرة هنا وسطاً، وقليلة العدد من الأولاد، قالوا: وذلك بسبب تفكك

الأسرة، وغلبة الانحلال على أهل البلاد، حتى إنهم قالوا: إن نصف الأولاد الذين يولدون ليس لهم آباء ينتسبون إليهم، وأن المرأة تلد الولد، فتذهب للحكومة لتسجله فيها حتى تستفيد من الإعانة التي تدفعها للأمهات اللاتي لا عائل لأطفالهن.

قالوا: وليس لعلاقة الرجل هنا بالمرأة حدود اجتماعية، وهذا هو ما قيل لنا أو مثله في المارتنيك وباربادوس، وقالو أيضاً ما قاله أولئك: إن الزيادة في عدد السكان ليست كبيرة، بل إن النمو السكاني بطيء فيها، وذلك كله بسبب عدم تماسك الأسرة، نتيجة للاختلاط الذي لا حدود له.

مطعم سلام بويند:

عدنا إلى ضاحية من المدينة منفصلة عنها، ويسكن فيها أخونا الدكتور عاطف قريشي، فالتقطناه من بيته، وصار الدكتوران يبحثان عن مطعم نتغدى فيه، فوجدا أكثر المطاعم مغلقة للعطلة، فذهبنا إلى فندق على أعتاب تلة جبلية خضراء واقعة مباشرة على شاطئ البحر، ودخلنا مطعماً اسمه (سلام بويند) لا علاقة له بكلمة سلام العربية، وإنما هو اسم زهرة، والمطعم على اسم هذا الفندق الذي يبدو أنه من فنادق الدرجة الأولى.

كان موقع الفندق ومطعمه جميلاً جداً، فهو يقع في جنة أرضية خضراء فوق شاطئ تتراقص أمواجه في تناغم متواصل.

كانت الساعة قد نيفت على الثانية عشرة ظهراً، وكان المطر ينزل خفيفاً قبل ذلك، إلا أنه كف عن النزول فجأة، وأشرقت الشمس فكانت حارة أشبه شيء بشمس الصيف عندنا رغم برودة الهواء إذا تحرك، ورأيت السياح الأوربيين من نزلاء الفندق يتشمسون، أي يعرضون أجسادهم لهذه الشمس الحارة، فقلت: إن هذا عذاب عاجل، فلا شك في أنهم يتألمون من حرها، ولكنهم يصبرون على ذلك لما يرجون منه أن يخزن مقداراً من أشعة الشمس في أجسامهم تساعدها على اجتياز فصل الشتاء الذي لا يعرف

الشمس في بلادهم.

كان الطعام الذي طلبناه سمكاً مشوياً مع البطاطس والأرز وقليل من الخضار تتمثل بقرن واحد من قرون البامية لكل صحن، وقليل من الجزر المطبوخ.

ولما عجبت من قلة الخضرات في الطعام مع كون هذه الجزيرة من البلدان الخضرة النضرة أجاب الإخوة: إن ذلك لكونه معداً للسياح الأوربيين الذين تغلب عليهم الرغبة في الطعام الخفيف.

ولم أعرف قيمة الطعام لأن الأخوين الدكتورين لم يقبلا إلاّ بأن أكون ضيفاً عليهما في هذا المطعم.

وبعد الغداء كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة، وكان أهل فندقي: فندق لامشكلة: (نو بروبلم) قد سمحوا لنا بالبقاء إلى الواحدة، أو الواحدة والنصف مع كون المعتاد عندهم أن تكون المغادرة في الثانية عشرة، ولكن السماح، وحسن المعاملة هي الغالبة على الناس من سكان هذه المنطقة، التي تكاد تعتبر منطقة إفريقية تائهة في مياه هذا البحر الكاريبي الخضم.

وقد نقدت لهم الأجرة التي ضموا إليها الخدمة ١٠ ٪ فصار الجميع ٧٣ دولاراً أمريكية لليلة الواحدة، والحقيقة أنه من جمال موقعه، وحسن معاملة أهله يستحق أكثر من ذلك.

وفي الواحدة والنصف نزلت إلى مكتب الاستقبال، وهو صغير ضيق خالٍ من التكييف، وإنما فيه مروحة تساعد على تبديد الرطوبة التي تكاثفت بعد سطوع الشمس حتى أكملت الساعة الثانية، فحضر الأخوان الدكتوران: آصف، وعاطف إليَّ في الثانية والربع وودعنا أهل الفندق بما يليق بهم من الشكر والتقدير، وبحلوان (بخشيش) لعامل فيه سمح حمل أمتعتي إلى السيارة.

وخرجنا إلى المطار، ولم نقض وقتاً يذكر عند موظفة الترحيل في

مكتب شركة (ليات)، وهي الشركة التي تسير الطائرات الصغيرة التي اعتدنا على ركوبها في رحلات هذه الجزر.

وإنما أعطتني بطاقة الصعود إلى الطائرة ومعها بطاقة القدوم إلى البلد الذي سنسافر إليه، وهو جزيرة سانتا لوسيا، فودعت الأخوين الكريمين، وأسرعت إلى قاعة المغادرة التي وجدتها نظيفة مكيفة الهواء، وطلبت من مقصف فيها فنجاناً من الشاي وأنا أملأ بطاقة القدوم إلى (سانتا لوسيا)، ولكنني لم أكد أفرغ من ذلك حتى نادوا على الركاب بالخروج إلى الطائرة.

سانتا لوسيا

سانتا لوسيا :

عدد السكان: ١٥١,٣٠٠ نسمة.

العاصمة: كاستريز (Castries)

استعمر الأوربيون سانتا لوسيا حيث أقاموا فيها مزارع استثمارية.

وفي القرن الثامن عشر كانت سانتا لوسيا في مركز الصراع الاستعماري بين الفرنسيين والبريطانيين، متنقلة ١٤ مرة في الحكم بين الدولتين.

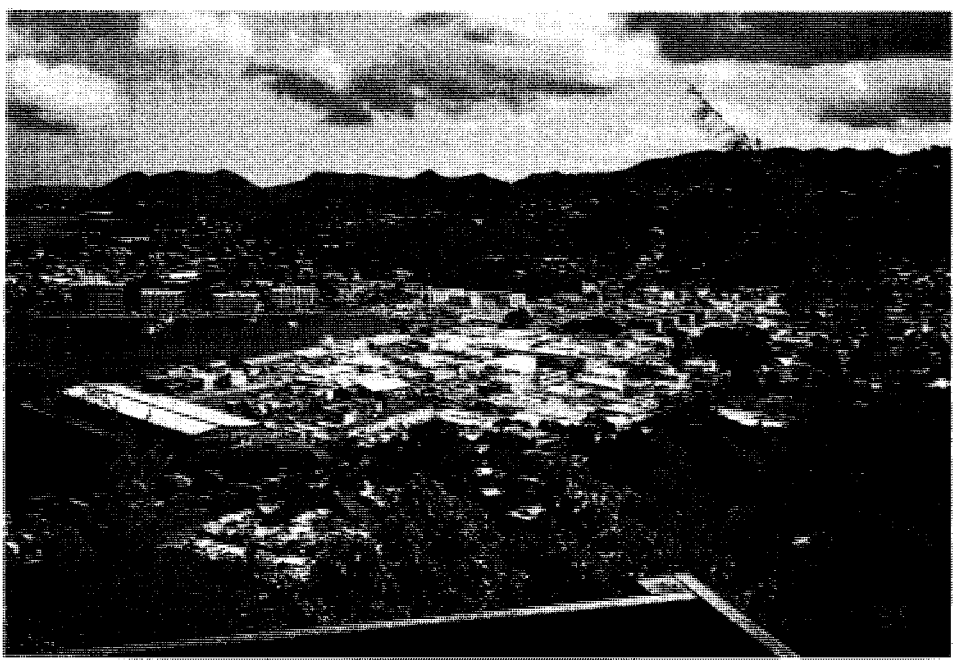

كاستروس عاصمة سانتالوسيا من مكان مرتفع كما التقطها المؤلف

ورغم أن البريطانيين كسبوها أخيراً إلا أن التأثير الفرنسي لا يزال مسيطراً عليها، فبقايا حصون الحامية الاستعمارية الفرنسية لا تزال موجودة في شمال الجزيرة وفي أعلى نقطة في مورن فورتون خارج مدينة كاستريز، وكلا الموقعين يقدّمان مناظر عامة للمنطقة.

ولا توجد في (سانتا لوسيا) جمعية إسلامية، ولذلك لا يوجد فيها مسجد، ولا أي تنظيم إسلامي.

وحتى المسلمون الذين كانوا فيها في وقت من الأوقات لم يكن عددهم يتجاوز سبعة أشخاص قد هجروها، حتى لم نستطع أن تستدل على أي واحد منهم رغم المحاولات العديدة التي بذلناها، وكنت أحمل معي عنواناً لأحدهم، ولكن ذكر جيرانه أنه سافر إلى الولايات المتحدة أو كندا.

من قرينادا إلى سانتا لوسيا :

لم يمض على وصول الطائرة الصغيرة التي سنسافر معها إلى (سانتا لوسيا) إلا دقائق معدودة حتى طلبوا منا الخروج إليها ، وعادة هذه الطائرات الصغيرة أن يكون وقوفها غير بعيد من مبنى المطار لذلك لا يحتاجون لنقل الركاب في حافلة أو نحوها.

ولاحظت قائد الطائرة عندما نزل منها لدقيقتين أو ثلاث فوجدته سميناً أسود كالذي يعرج بإحدى رجليه ، والظاهر أن ذلك ناشئ عن ثقل جسمه.

والطائرة مروحية ذات محركين مروحيين فيها ٣٨ مقعداً غير أنه لم يكن فيها من الركاب إلا عشرة ، خمسة من البيض ، ويعتبرونني منهم ، وخمسة من السود.

إن هذه الطائرة المروحية الصغيرة تذكرني برحلات عديدة قمت بها قبل أشهر إلى جنوب روسيا الذي يتألف من جمهوريات داخلية ، ومن أقاليم خاصة ، وأكثر الطائرات التي تطير من مطاراته هي طائرات مروحية من ذوات المحركين ، ولكنها أكبر من هذه أجساماً ، وأقوى منها محركات ، ومع ذلك وجدنا من الراحة في هذه الطائرات الكاريبية الصغيرة أكثر مما وجدنا في مثيلاتها من الطائرات الروسية ، فالروس هناك لا يحملون أمتعة المسافر إلى الطائرة ، ولا يتسلمونها منه ، بل يطلبون منه أن يحملها إلى الطائرة بنفسه ، وقد عانينا من ذلك عنتاً ومشقة لا سيما مع ثقل في أمتعتنا ، أما في هذه الطائرات الكاريبية فإن طريقتهم في تسلم الأمتعة وتسليمها هي الطريقة المعتادة ، ويتسلمون منك متاعك ويعطونك الورقة المعتادة بذلك ، ثم ينزلون الأمتعة إلى قاعة الوصول.

ويقال مثل ذلك في الأوراق والمطبوعات التي تكون عادة في جيوب المقاعد ، فالروس لا يضعون في جيوب المقاعد في طائراتهم الصغيرة هذه أي شيء من الأوراق أو المنشورات ، أو حتى التعليمات التي تبين كيفية التصرف

عند الطوارئ، حتى ما يتعلق بالطائرة لا يذكرون طرازها كما تفعل الشركات الأخرى، ومنها هذه الشركة الصغيرة التي رأيت جيوب المقاعد فيها حافلة بما يحتاج المرء أن يعرفه عن نوع الطائرة، وعن تعليمات السلامة والهبوط الاضطراري، وفيها مجلة الشركة تذكر بالإنكليزية معلومات عن المنطقة، وعن الجزر التي تطير إليها طائرات الشركة.

وشيء مهم آخر غير موجود في الطائرات الروسية المروحية وهو موجود هنا ذلك بأنه لا توجد فيها موائد للطعام خلف المقعد، لأنهم لا يقدمون أي طعام للركاب إلا إذا زادت مسافة الطيران عن ثلاث ساعات، وإن كان الأمر كذلك لم يطيروا هذه الطائرات الصغيرة، وإنما يكون الطيران على طائرات غيرها أكبر منها بخلاف هذه الطائرات الكاريبية الصغيرة التي سنركب معها الآن ومثيلاتها، فإن فيها موائد للأكل يستطيع الراكب أن يكتب عليها إذا لم يحتج إليها في الأكل.

ركب بجانب الطيار مساعده، وهو خلاسي أي لونه بين السواد والبياض، ويكون في الغالب من المولدين بين أبوين أحدهما أسود والآخر أبيض، أو من ذرية والدين مولودين بهذه الطريقة.

وفي الطائرة مضيفة واحدة وهي سوداء غير حالكة السواد، وإنما لونها لون الرماد.

أعلنت المضيفة باللغة الإنكليزية وحدها خط سير الرحلة وكل ما يتعلق بها إلى سانتا لوسيا، وذكرت أنها ستذهب أولاً إلى باربادوس ثم منها إلى (سانتا لوسيا).

وهكذا سيكون الذهاب إلى (سانتا لوسيا) عودة إلى مطار باربادوس ومنه إلى (سانتا لوسيا)، ولكنني لم أنزعج من ذلك، بل سررت به لأنه سوف يتيح لي فرصة مشاهدة هذه الجزر من طائرتنا الصغيرة التي لا تحلق عالياً في الجو في ضوء النهار، وكنت وصلت إلى باربادوس في الظلام،

وغادرتها مع غروب الشمس.

إلى مطار باربادوس :

قامت الطائرة من مطار قرينادا قاصدة جزيرة باربادوس في الثالثة والنصف ظهراً، وهو وقت يقل خمس دقائق عن الموعد المقرر لقيامها في الأصل الذي كانوا قد كتبوه على ورقة الحجز، وهو الثالثة والخامسة والثلاثون وهذا من النادر أن تقوم الطائرة قبل الموعد المحدد لقيامها، ولكن السبب لذلك ظاهر في قلة عدد ركابها، وعدم طمعهم في أن يزداد عددهم في الدقائق الخمس هذه.

عندما نهضت الطائرة تجلت منطقتها جميلة؛ بل غاية في الجمال، إذ تتألف من جبال خضر مجللة بالغابات، ومن تلال متطامنة خضر في أسافلها الحقول والزراعة، وإن كان الغالب على أرض الجزيرة هو الغابات والأشجار الملتفة.

وبعض جبالها مسطحة الرؤوس، أي ليست لها رؤوس حادة، وتتناثر البيوت على أقدام الجبال وفي أكتاف الربى وسط الخضرة الداكنة.

وعندما ارتفعت الطائرة كنا نبصر الجزيرة تحتنا مستطيلة ضيقة العرض، ويجلل السحاب المنخفض جوها كأنما يطبق عليها إطباقاً.

ويتألف غربي الجزيرة من جبال عالية تنهض من ساحل البحر الأزرق الذي يدل مرآه على مياه عميقة. وذلك في تناغم لوني منسجم مع لون الجبال الخضراء الداكنة الخضرة.

طرنا فوق الجزيرة ونحن نطاولها مطاولة، فأعجبت بجمالها الأخاذ أيما إعجاب، وتكررت على خاطري الجملة التي سمعتها من أهلها وهي أنها أجمل جزر البحر الكاريبي.

ورأيت من الطائرة مناطق في الجزيرة غير مسكونة، فتبدد ما كان

علق في ذهني من كونها جزيرة لا يستطيع سكانها إذا ازدادت أعدادهم أن يجدوا فيها مكاناً يعيشون فيه. ولاحظت أن منطقة الجبال في غرب الجزيرة وجنوبها تكاد تكون خالية من المنازل.

وكنت قد اتفقت مع الإخوة فيها على أن أذهب إلى عدة أماكن من هذه الأماكن الريفية للاطلاع عليها؛ غير أن الوقت القصير الذي كنت خصصته للبقاء فيها حال دون ذلك، وبخاصة أنني سوف أضطر إذا تخلفت عنها بضع ساعات أن أتخلف يوماً وليلة بسبب عدم وجود الرحلات إلى جزيرة (سانتا لوسيا) إلا في ظهر الغد.

ثم انقطعت الجزيرة من تحتنا فظهرت شواطئ الكاريبي من جهتها ذات مياه لازوردية ضحلة، وبعد هذه المياه الضحلة تأتي مياه زرقاء عميقة إلا أنه يفصلها عن المياه الضحلة إطار متعرج أبيض من زبد الأمواج الفضية.

ثم لججت الطائرة في سماء البحر الكاريبي، وقد استغرق الطيران فوق جزيرة قرينادا إلى أن اختفت عنا في مياه الكاريبي ٨ دقائق.

وقلت في نفسي وأنا أبتعد عنها: وداعاً يا قرينادا، مثلما قلت ذلك عندما ودعت باربادوس، فقد كنت وجدت فيها شعباً ودوداً مسالماً، وقد أردت توثيق ما شعرت به فذكرته للإخوة المسلمين من ذوي الأصول الهندية الذين يعتبرون بمثابة الأجانب عن الشعوب الكاريبية السوداء، فأيدوا ما أعتقده، وذكروا أنها شعوب جيدة مسالمة، ذات تعامل راقٍ مع الغريب.

ورحت أبحث بنفسي عن تعليل ذلك أهو سبب انعدام القبلية لديهم؟ أم لعدم وجود ما يفخر به بعضهم على بعض ؟ أو لعدم الشعور بالماضي المشرف الذي قد يجعلهم يستعلون على غيرهم إذا ذكروه، أم أنه الشعور الذي لا يدعو إلى الفخر وهو الأصل الناتج عن الرق والعبودية، وإن كانا قد أصبحا منذ زمن بعيد في خبر كان ؟.

وحتى الأمن فقد أخبرني الجميع أنه مستتب في هذه الجزيرة، وأن

الاعتداء يكاد يكون معدوماً، ولذلك لا يلاحظ المرء أن الناس يخلعون ساعاتهم من معاصمهم خوفاً عليها من الانتهاب. بل حتى الحقائب رأيتها تكون بأيديهم وهم في محافظتهم عليها في وضع معتاد.

وعلى ذكر هذه المزايا في هذا الشعب الكاريبي الأسود ذكرت المعاملة التي عوملنا بها من قبل الشعب الروسي الأبيض بل الأشقر، فوجدت أنها كانت رديئة بعيدة عن المجاملة، وحسن المعاملة، بل جزمت بأن الروسي من سائر الناس هو ذو طبيعة فظة. قلما تجد منه مجاملة أو مساعدة، وإذا طلبت منه ذلك لم يسعفك به، فتيقنت أن اللون إنما هو قشرة، أو لنقل إنه خلقه الله لحفظ جسم ابن آدم لا يترتب عليه مدح ولا ذم، وإن كان هذا قد كاد يكون من الأمور البدهية عند العقلاء، وذلك لكون الإنسان لا يد له في لونه، فلونه ليس من كسب يده، فإن كان البياض مزية فإنه لا فضل لصاحبها فيها؛ لأنه لم يبذل جهداً لكي يكون أبيض، وإنما خلقه الله هكذا، وإذا كان السواد مزية فإنه يقال فيه ما يقال في البياض.

وعلى وجه العموم فإن المرء يحاسب على خُلُقه - بضم الخاء واللام - لأنه من كسب يده، ولا يلام على خَلْقه - بفتح الخاء وإسكان اللام - لأنه ليس من صنع يده، ولذلك ورد في الحديث الشريف: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

وفي رواية غير مشهورة: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم) إلخ.

وسألت ذوي الخبرة في هذه المنطقة عن الإدارة فيها، فذكروا أنها جيدة وهي إدارة سوداء، إلا أن المشكلة تكمن في قلة الإمكانات الاقتصادية المتاحة اللازمة للتقدم والرقي الاقتصادي. وقالوا فيما يتعلق بحالة الناس: إن الفقر موجود، ولكن لا يوجد جوع، بمعنى أنه لا يوجد من يجوع لكونه لا يستطيع الحصول على الطعام.

عود إلى الحديث عن الطائرة:

عندما لججت الطائرة في جواء البحر لم يكن هناك منظر متغير، فعاد البصر إلى داخل الطائرة الصغيرة فرأى المضيفة السوداء لطيفة الجسم والطبع تعمل في إعداد الضيافة الخفيفة بلباقة ومعرفة، وقد دخلت إلى غرفة القيادة من بابها الذي كان مفتوحاً، فذكرت الطائرات الروسية التي تكون فيها غرفة القيادة مغلقة، بباب موصد لا يستطيع أحد من الركاب أو غيرهم أن يدخل إليهم منه، ورأيت المضيفة إذا أرادت الدخول إلى غرفة الضيافة قرعت الباب قرعاً خاصاً ففتحه لها أحدهم. هذا كان في الطائرات الروسية المتزمتة.

ونسيت أن أقول إن هذه الطائرة التي نحن فيها الآن هي من طراز داش ٨.

في مطار باربادوس:

بعد ٣٧ دقيقة من الطيران بانت جزيرة باربادوس على البعد، منفردة بدون وجود أي جزيرة قبلها تابعة لها من هذه الجهة، وبدت الجزيرة واضحة المعالم، منبسطة السطح كأنها السفرة التي يوضع فوقها الطعام، وليس فيها أي جبال أو ربى عالية ظاهرة، بخلاف جزيرة قرينادا، وهي تخالف قرينادا أيضاً في كونها أقل خضرة، مما يعطي الانطباع بأنها أقل خصباً في الزراعة، وهذا هو الواقع بالنسبة إلى بعض المحصولات الزراعية، وشيء آخر يلاحظه الغريب وربما لا يكون مهماً للسكان المحليين، وهي أن باربادوس أقل جمالاً من قرينادا بكثير.

ومن الأشياء التي تذكر في باربادوس أنها إلى جانب كونها خالية من الجبال، فإنها خالية من الأنهار أيضاً، ويشرب سكانها الذين يبلغ عددهم ضعف عدد سكان قرينادا من آبار ارتوازية، فسكان بربادوس يناهز عددهم مائتي ألف، وسكان قرينادا يبلغ عددهم زهاء ١٠٠ ألف فقط.

وعلى ذكر عدم وجود الأنهار في باربادوس نذكر أن جزيرة كاريبية

أخرى سوف نزورها - إن شاء الله - بعد زيارة (سانتا لوسيا) هي دومنيكا فيها ٣٦٠ نهراً.

وقد استجليت منظر باربادوس في هذا النهار، فرأيت أن أكثر سواحلها معمورة، وأن العمارة تكاد تغمرها كلها لولا منطقة صغيرة لا تزال تعتبر ريفية خالية من المنازل.

وتتميز باربادوس بسواحل ضحلة المياه مما يجعلها صالحة للسباحة، أو قضاء وقت بقرب البحر، وتحيط بأكثرها حواجز صخرية طبيعية في داخل المياه تتكسر عليها الأمواج قبل أن تصل إلى أرض الجزيرة، وتكون مثل هذه الحواجز في العادة حداً ما بين المياه الضحلة والمياه العميقة.

وعندما رأيت اتساع هذه المياه الضحلة قلت في نفسي: إنه يمكن لأهالي باربادوس إذا احتاجوا إلى توسيع جزيرتهم، وتوفرت لهم الإمكانات لذلك أن يدفنوا جانباً من هذه المياه الضحلة، ويلحقوه باليابسة. كما يفعل أهل جزر مالديف في الوقت الحاضر، وقد رأيت بنفسي كيف استطاعوا تجفيف جزء من الساحل الضحل المياه، وبخاصة في جزيرة المطار من أجل أن يطيلوا مدارجه حتى تهبط فيه الطائرات الكبيرة بسهولة.

ولاحظت أن وسط الجزيرة أقل عمارة بالبيوت والمساكن من شواطئها، كما رأيت حقول قصب السكر فيها ممتدة، وإن لم تكن شاملة.

لقد تكلمت عن جزيرة باربادوس في الكتاب الذي قبل هذا، ولذلك لن أكرر ما كتبته، لكنني أذكر ما أشاهده الآن منها في ضوء النهار لأن قدومي السابق إليها كان في الظلام.

وقد أخبرني أهلها أنهم يستوردون ما يلزمهم من الغذاء الذي أكثره عندهم الأرز.

هبطت الطائرة في مطار باربادوس في الرابعة والدقيقة الثانية عشرة بعد طيران استغرق ٤٢ دقيقة، وكانوا أعلنوا أنه سيستغرق ٤٥ دقيقة.

لم تذكر المضيفة درجة الحرارة في المطار، فسألت المضيفة عنها فلم تعرف.

وقد استقبل الطائرة الموظفون والعمال وهم من ذوي المظهر الإفريقي الذين عرفناهم في هذه المنطقة.

طلبوا منا أن نغادر الطائرة إلى قاعة العابرين، فسرنا به مع رواق طويل جداً يوضح سعة مباني المطار وامتدادها، وكانوا أعلنوا أن البقاء في مطار باربادوس سيستغرق نصف ساعة، ولذلك اشتريت فنجاناً من الشاي من مقصف في المطار بما يزيد قليلاً على الدولار، وذلك يعني ٤ ريالات سعودية، وهذا غلاء متناه.

وبعد مضي الوقت المحدد نادونا للخروج للطائرة، وبدؤوا أولاً بالعابرين. وهذا مهم لي، لأنني أريد أن أركب في مقعد اخترته على النافذة في مقدمة الطائرة حتى أستطيع أن أستجلي منه ما تمر فوقه الطائرة.

ثم صعد بقية الركاب الذين ملأوا جميع مقاعد الطائرة دون استثناء.

من باربادوس إلى سانتا لوسيا:

قامت الطائرة إلى سانتا لوسيا في الخامسة إلا الربع، وأعلنوا أن الطيران إليها سيستغرق ٣٥ دقيقة.

والركاب أكثرهم من السود وفيهم اثنان أو ثلاثة من الهنود الآسيويين الذين اسودُّوا بالفعل، لأنهم من المولودين في هذه المنطقة الشبيهة بالاستوائية.

واخترقت الطائرة جو جزيرة باربادوس المنبسطة، ثم حلقت فوق ساحلها الشرقي الذي هو رملي جيد المظهر، ثم تياسرت جهة الشمال الغربي، حيث اتجهت إلى سانتالوسيا وهي تطير فوق البحر.

كان الجو صاحياً في مسار الطائرة، ولا تزال الشمس مرتفعة عن الأفق الغربي رغم ميلها إليه، ولذلك كان أهم ما يراه المرء تحته عندما لججت

الطائرة في البحر نهراً من ضوء الشمس على صفحة البحر التي تبدو رقراقة كأنها المرآة التي تتماوج.

واستمر الجو صاحياً، والمنظر غير متغير حتى قاربنا جزيرة سانتا لوسيا حيث ظهرت سحب كثيفة في الجواء القريبة منها، وربما كان سبب ذلك وجود الجبال في الجزيرة التي تمسك ببخار الماء.

في مطار سانتا لوسيا:

هكذا كتبت هذا العنوان لأن هذا ما علمته، إلا أنهم أخبرونا بعد ذلك أن لديهم مطاراً آخر غير هذا المطار الصغير الذي هبطنا فيه وأقلعنا منه.

بعد ثلاثين دقيقة من الطيران وصلت الطائرة جو الجزيرة، وبدت الجزيرة خضراء كغيرها من جزر المنطقة، وإن كانت تختلف الجزر من حيث كثافة الخضرة وعدم كثافتها، وبدا الشاطئ القريب من الجزيرة جبلياً مجاوراً لمياه عميقة زرقاء.

وقد تجاوزت الطائرة تلك الجهة من الجزيرة لأنها كانت تحلق عالياً فوق البحر ثم عادت إلى جهة الغرب من الجزيرة فأسرعت الهبوط في مطار صغير قصير المدرج، ولكنني استمتعت بذلك لأن هذه الطائرة الصغيرة مهما أسرعت فإن قدرتها على السرعة محدودة، ويستطيع الراكب فيها أن يستجلي المنطقة بوضوح.

وكان هبوطها في المطار في الخامسة والثلث، وقد استغرق الطيران ٣٥ دقيقة كما ذكروه من مكبر الطائرة.

وكان جميع الذين استقبلوا الطائرة لخدمتها من موظفين وحمالين هم من السود كالعادة في هذه الجزر الكاريبية، والمطار صغير جداً بحيث إن قاعة الوصول ليس فيها إلا مكتبان للجوازات، على كل مكتب منهما ضابطة سوداء، ولكن سواد بعض هؤلاء الكاريبيين ندي وليس أغبر.

ومن مظاهر سهولة المعاملة عند هؤلاء القوم أن ضابطة الجوازات أسرعت بختم جوازي رغم كوني لا أحمل سمة دخول، ثم صافحتني وهي تناولني جوازي.

وتسلم الأمتعة هو في القاعة نفسها، وكنت لاحظت أن حقيبتي قد أحضرها موظف من الطائرة وحدها ليس معها شيء من أمتعة الركاب، وخشيت أن يكون في الأمر شيء، وتبين لي بعد ذلك أن ما خشيته غير صحيح إذ وجدتها سليمة لم تمس بسوء.

ورأيتهم يشددون في التفتيش على الركاب، وأغلبهم من أهل المنطقة، وربما يكونون من أهل الجزيرة، ومرجع ذلك إلى أن الحكومة تعتمد في دخلها على الضرائب والرسوم.

ولم يوقفوني فضلاً عن أن يفتشوا ما معي احتراماً لجوازي (الدبلوماسي).

ذهبت إلى مكتب لخدمة السياح فيه امرأة منهم سمحة حجزت من عندها في فندق جيد اسمه فندق الكاريبيين ذكرت أن أجرته ٧٥ دولاراً أمريكياً.

كما ذكرت أن سيارة الأجرة إلى ذلك الفندق تتقاضى ٨ دولارات أمريكية، أو عشرين دولاراً من دولارات البحر الكاريبي، وهو عملة لبعض هذه الجزر، ومنها (سانتا لوسيا) هذه.

وجدت (التاكسي) حافلة صغيرة تتسع لعشرة أشخاص مع أمتعتهم، وتسوقه امرأة من أهل البلاد تتسم بالمرح ومحبة الفكاهة، وذلك رغم ما ذكرته من كونها ذات أطفال تؤمّن لهم ما يحتاجونه من أجرتها من قيادة هذا (التاكسي).

ولما سألتها عن زوجها والد الأطفال لم لا ينفق عليهم ؟ ضحكت، وقالت: الحياة هنا صعبة.

وقلت لها: ماذا عن الركاب الذين يركبون معك، ألا يضايقك منهم أحد؟ فأجابت وهي تتنهد: إنهم يضايقون بالفعل، ولكنني تعودت على ذلك، وأنا قوية الجسم لا أخشى من أحد.

سارت السيارة مع طريق غير واسع زاد ضيقاً عندما وصلنا ضواحي البلدة، وصعد إلى تلة مجللة بأشجار الغابات. وقد وقفنا عدة مرات قابلتنا فيه سيارة قادمة، لأن الطريق لا يتسع لسيارتين، ومع ضيقه فإن فيه أماكن مكسرة، وفيه حفر ونقر، عجبت بعد ذلك من عدم شكوى السائقين منه.

كانت الشوارع عامرة بالناس، وذلك لأن الساعة الآن هي ساعة الغروب، وما يزال النور غامراً، وتبين من أول وهلة أنهم شعب إفريقي الأصل مثل غيرها من جزر المنطقة إلا أنهم يبدون هنا في مظاهر أكثر فقراً، وأقل عناية باللباس، كما تبين أن العناية في المرافق العامة في الجزيرة هي أقل مما هي عليه في قرينادا على سبيل المثال.

وقد استمر الصعود المتدرج في التلة التي تغطيها أشجار الغابة، ويوجد فيها – على قلة – بعض البيوت التي اختفت بين الأشجار.

فندق الكاريبيين:

تبين لي أن اختيار هذا الفندق مناسب؛ لأنه واقع فوق تلة جبلية تشرف على جزء من المدينة وشاطئ البحر، كما تشرف عليها هضاب جبلية خضر.

وجدت في مكتب الاستقبال في الفندق فتاة إفريقية أصيلة كل ما فيها يدل على ذلك، ومن أبرزه رشاقة في جسمها، وفضول في شفتيها بحيث تتقدمان سائر وجهها بمسافة.

وهي في حسن المعاملة مع النزلاء مثل غيرها من أهل الجزيرة؛ بل من أهل المنطقة من حيث اللطف والذوق الممتاز، ولكن يظهر أنها جديدة على العمل، إذْ أبطأت في إنجاز الأوراق المتعلقة بالدخول في الفندق، ثم غلطت مرتين في

الحساب، إحداهما كانت بالنقص، والأخرى بالزيادة حتى اضطرت إلى دعوة امرأة من داخل الإدارة، وهي سوداء مجربة فساعدتها.

في الفناء الخارجي لمدخل فندق الكاريبيين في سانتا لوسيا

وتبين أن أجرة الفندق هي ٦٥ يضاف إليها ١٨ ٪ خدمة.

حمل حقيبتي عامل أسود سمح، فصار ينزل ويصعد في الفندق حتى وصل الغرفة، وذلك لكونهم بنوا غرف الفندق وملاحقه مثل بركة السباحة والمكاتب على تلة دون تسوية شاملة، وذلك أعطاه منظراً متميزاً بعيداً من الرتابة.

وضع العامل السمح حقيبتي في الغرفة، وتركني مسرعاً من دون أن ينتظر أن أضع في يده شيئاً مثلما يفعل الحمالون في بعض البلدان كالهند على سبيل المثال، فأسرعت أعدو خلفه وأعطيه الحلوان (البخشيش)، وقد فوجئ بذلك إذْ لم يكن يتصور أن يلحق به نزيل ليعطيه شيئاً لا يستحقه قانوناً.

وجدت الغرفة واسعة بل ممتازة، فيها سريران عريضان، وتلفاز ملون،

وشرفة تطل على واد أخضر بين تلتين جبليتين من خلفهما البحر، وجميع ما في الفندق يدل على العناية والذوق الرفيع، ورأيت تلك الأجرة التي تزيد على ٨٠ دولاراً قليلة بالنسبة إليه لا سيما عندما تواردت إلى ذهني ذكريات عن فنادق جيدة نزلت فيها قبل مدة قصيرة، منها فندق في مدينة تفليس عاصمة جورجيا التي تقع في جبال القوقاز وأجرته ٢٢٠ دولاراً أمريكية.

وكنت فيه قبل أشهر، وفندق كنت فيه قبل أيام في مدينة (فورت دي فرانس) في جزيرة المارتنيك حيث كانت أجرته ١٩٠ دولاراً أمريكية، وهذا أوسع منهما غرفاً، وأما الموقع فإن فندق تفليس يقع مثله على رأس تلة عالية، وقد وصفته ضمن ما ذكرته عن الرحلة إلى جورجيا في كتاب: " بلاد العربية الضائعة: جورجيا ". أما فندق المارتنيك فقد ذكرته في الكتاب الأول من هذه الكتب المخصصة لجزر البحر الكاريبي.

ومن ألطف ما فيها أنهم جعلوا ألوان الأشياء التي في الغرفة كلها أخضر باهتاً، من ألوان الكراسي إلى ألوان الأقمشة، حتى غطاء السرير كان لونه الأخضر الباهت قليلاً.

والفندق مكيف تكييفاً عاماً، ولذلك استرحت فيه بعد ليلة البارحة التي قضيتها من دون نوم في فندق (قرينادا).

وفتحت التلفاز الذي لا أجد وقتاً في العادة للاطلاع عليه، وذلك لكوني لا أستطيع أن أعمل شيئاً في هذه الليلة بعد أن كانت الشمس غربت قبل نحو الساعة، فرأيته مبرمجاً على محطات عدة، كلها تذيع بالإنكليزية، ولكن لم يكن فيها شيء محلي خاص بهم، بل كلها من المحطات التي ترسل من الولايات المتحدة، أو من منطقة وسط أمريكا، وليس فيه برامج خاصة بسكان المنطقة من السود.

وذهبت إلى مطعم الفندق في الثامنة مساء، ويقع في شرفة عالية تطل مباشرة على وادٍ منخفض، وهو مرتب ومنظم، وكل شيء فيه يشبه ما يكون

في فنادق الدرجة الأولى، وطلبت سمكاً لأن هذه جزيرة يفترض أن يكون السمك فيها جيداً ومنوعاً، وكذلك طلبت حساء من حساء الخضار بعد أن نبهت العاملة وهي سوداء من أهل البلاد على أنني مسلم لا أحب أن يقرب طعامي ما مسه لحم خنزير، فقالت: إنني أفهم ذلك.

وجاءت بالعشاء سمكاً جيداً، ولكنه قليل، ومعه ثمرة من البطاطس واحدة كبيرة مشوية، وقبل ذلك حساء الخضار.

وعجبت من كون الوجبة تشبه في قلتها ما يقدم في مطاعم أوروبا مع أنهم بلاد بحرية، غنية بالأسماك، ولكنهم أعدوا المطعم للسواح الأوروبيين ومن هم مثلهم من الأمريكيين، وهؤلاء قد شبعوا من الأطعمة الدسمة إلى حد التخمة، لذلك يحبون أن يخففوا من طعامهم، ونحن بحمد الله وشكره قد شبعنا أيضاً في بلادنا حتى أحببنا التخفيف، غير أن الأمر مختلف عندما نكون في مثل حالتي التي هي تنقل متواصل يحتاج معه الجسم إلى طعام أكثر.

وقد لمع البرق، ثم قصف الرعد، وأنا في المطعم الذي لم يكن فيه إلا ثلاثة أو أربعة من السياح فقلت: (سبحان من سبح الرعد بحمده) ونزل المطر، فقلت: (مطرنا بفضل الله ورحمته)، ثم ذكرت أن هذا المطر سيعود نفعه على أهل هذه البلاد دوني إذْ سأغادرها قريباً بإذن الله. فقلت: الفضل لله علينا وعليهم، ونسأل الله تعالى لبلادنا غيث القلوب.

وقد تقاضت العاملة ثمن هذه الوجبة القليلة ٤٨ دولاراً من دولاراتهم ويساوي ذلك ٢١ دولاراً أمريكية أو ٧٥ ريالاً سعودية. ولو كانت في مطاعمنا في المملكة لما زادت على أربعة دولارات.

يوم الثلاثاء: ٣٠ / ٥ / ١٤١٦هـ ٢٤ / ١٠/ ١٩٩٥ م

صباح لوسيا:

ولوسيا: اسم المرأة التي وصلت رتبة القداسة في مذهبهم المسيحي، فنعتوها بذلك(سانتا).

صحوت من نومي فجراً لأنني نمت مبكراً، وصليت في أول الوقت. ولم أكن عرفت سمت القبلة لأنني لم أنظر إلى غروب الشمس إذْ كانت قد غربت قبل فترة عندما دخلت الغرفة فاجتهدت وصليت. وتبين لي بعد شروق الشمس أن اتجاهي صحيح، وعكسه ما كان حدث في (قرينادا) عندما وصلت إليها ودخلت غرفة الفندق ليلاً فسألت المرافقين عن القبلة فأشار منهم إمام المسلمين الذي يؤمهم في الصلاة إلى جهة تبين لي بعد ذلك أنها الشمال مع أن جهة القبلة هي جهة الشرق.

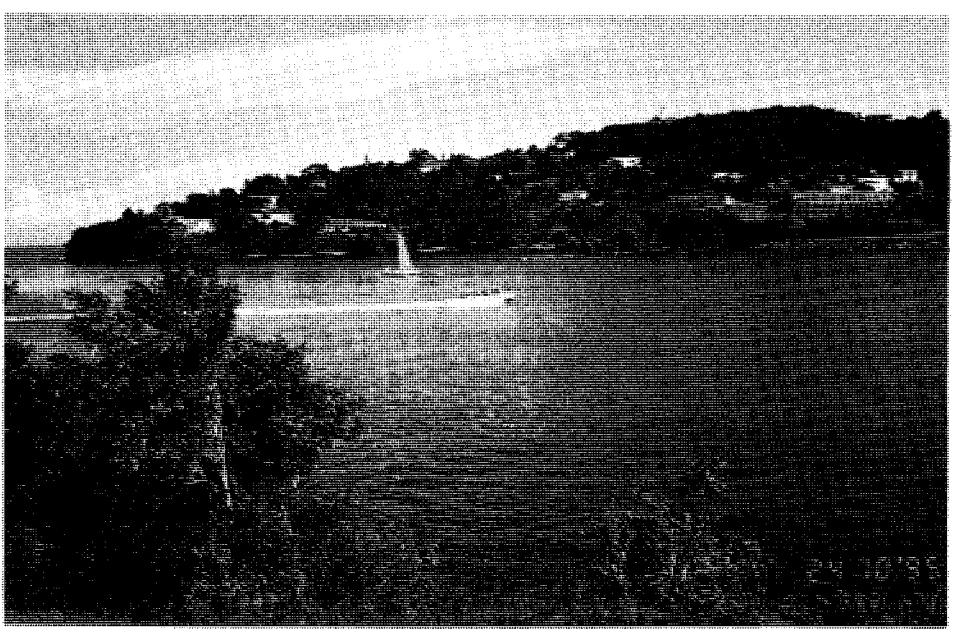

مدخل الخليج الذي تقع فيه مدينة كاستروس عاصمة سانتالوسيا

وصنعت لنفسي شاياً في الغرفة فشربته في شرفة الفندق المطلة على

منظر مفتوح لا يكدره إلا منظر جهة من الفندق قد جرفوا وجه الأرض فيها من أجل إقامة مبنى جديد، فخلت من الخضرة.

وتمشيت في أنحاء الفندق بعد شروق الشمس فوجدته جيداً نظيفاً، فيه بركة ماء للسباحة في مكان عالٍ لا شك في أنهم يتكلفون جهداً في إمدادها بالماء، وفيها عامل ينظفها هذا الصباح ويعدها للسابحين، وقلت في نفسي ثم له لأنه لا يفهم ما أقول: اعمل بها ما شئت فلا نصيب لي فيها، وذلك لكوني لا أجد لها وقتاً. مثلها في ذلك مثل الغرف التي أستأجرها في الفنادق الجيدة الغالية لا أنتفع بها إلا وقت النوم في الليل.

لا جمعية إسلامية في لوسيا:

تدل المعلومات التي أحملها معي من رابطة العالم الإسلامي، وكذلك المعلومات التي حصلت عليها من هذه المنطقة الكاريبية على أنه لا توجد فيها جمعية إسلامية، ولا توجد فيها شخصيات مسلمة يمكن أن يتعاون المرء معها، وقد اعتذر إليَّ أهل باربادوس وأهل قرينادا بذلك إذْ كانت توجد لديهم ولدي ثلاثة عناوين لثلاثة من المسلمين ذكروا أن اثنين منهم رحلا عن الجزيرة إلى كندا، والثالث لم يجب الهاتف المسجل أمام اسمه.

ومع ذلك لم تطب نفسي بالركون إلى ذلك، وقررت أن أبحث الأمر بنفسي، وقلت لنفسي في أول الأمر: لماذا زيارة هذه الجزيرة التي ليس فيها مسلمون، وهل يزيد الأمر على أن أكون غريباً فيها غربتي في جزر جنوب المحيط الهادئ التي لم أنسها. وذلك أنني سافرت إلى تلك الجزر وحدي، ومن دون أن تكون هناك جمعيات إسلامية أو أشخاص يعرفونني فضلا عن أن يستقبلوني، لأن إسلام المسلمين من أهلها حديثاً ما عدا مملكة تونقا التي أحمل معي عنوان رئيس الجمعية الإسلامية فيها.

وقد غامرت فسافرت فيها بحيث لو قدر عليَّ فيها مكروه لما عرف به من يريد أن يعرف أين مكاني من تلك الجزر، لأنني غيرت خط التذكرة التي

كنت قطعتها من بلادي لكون بعض المحطات هناك تغيرت خطوط السير فيها.

ولكن الله سبحانه وتعالى لطف بي وعدت منها سالماً بعد أن حصلت على معلومات جمة عن المسلمين، أو عن عدم وجودهم في بعض الجزر، ومع ذلك كتابان.

وكانت غربتي في جزر المحيط الهادئ قد طالت حتى لم أجد أحداً أكلمه بالعربية، وإنما جميع كلامي كان بالإنكليزية إلى درجة أنني صرت آن ذاك أكلم نفسي بالإنكليزية، وإذا كنت أيها القارئ الكريم تريد أن تعرف الكتابين عن تلك الرحلة فإنني أقول لك: إن عنوان أحدهما: « نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض » أو (رحلات إلى أبعد مكان) .. والثاني عنوانه: «تائه في تاهيتي »..

أما الجو فإنه كان منعشاً خفيف الرطوبة، ولكن ما أن ارتفعت الشمس ووصلت الساعة إلى الثامنة حتى تغير الجو وعاد إلى حرارته ورطوبته، وذلك لكون الجو صاحياً والسماء خالية من الغيوم.

جولة في سانتا لوسيا:

طلبت من الفندق أن يستأجر لي سيارة مع سائقها شرط أن يكون سائقها يعرف الإنكليزية، ويعرف أمور الجزيرة، فقالت موظفة الاستقبال في الفندق: إن هذا موجود، غير أن المشكلة أن المكتب السياحي لا يفتح إلا بعد الثامنة، وبعد الثامنة ذكرت أنها اتصلت به وأنه طلب أجرته عشرين دولاراً أمريكية للساعة الواحدة، وقد استكثرت المبلغ وطلبت تخفيضه فوافقوا على أن تكون الأجرة ١٥ دولاراً أمريكية للساعة شرط ألا تقل المدة عن ثلاث ساعات.

بدأت الجولة في الساعة الثامنة والنصف مع سائق أجرة تبين أنه تابع

للفندق أو يتعامل معه، وليس تابعاً لمكتب سياحي مستقل .

في مدينة كاستروس :

انحدرنا من الفندق إلى مدينة (كاستروس) عاصمة جزيرة (سانتا لوسيا) التي هي في الحقيقة جمهورية سانتا لوسيا، وقد وصلناها بسرعة لكون التلة التي فيها فندقنا(فندق الكاريبيين) تشرف عليها. فكان أول الشوارع المهمة التي سلكناها فيها شارعاً مهماً يسمى (شو سي رود) رأيناه مزدحماً بالمارة والسيارات.

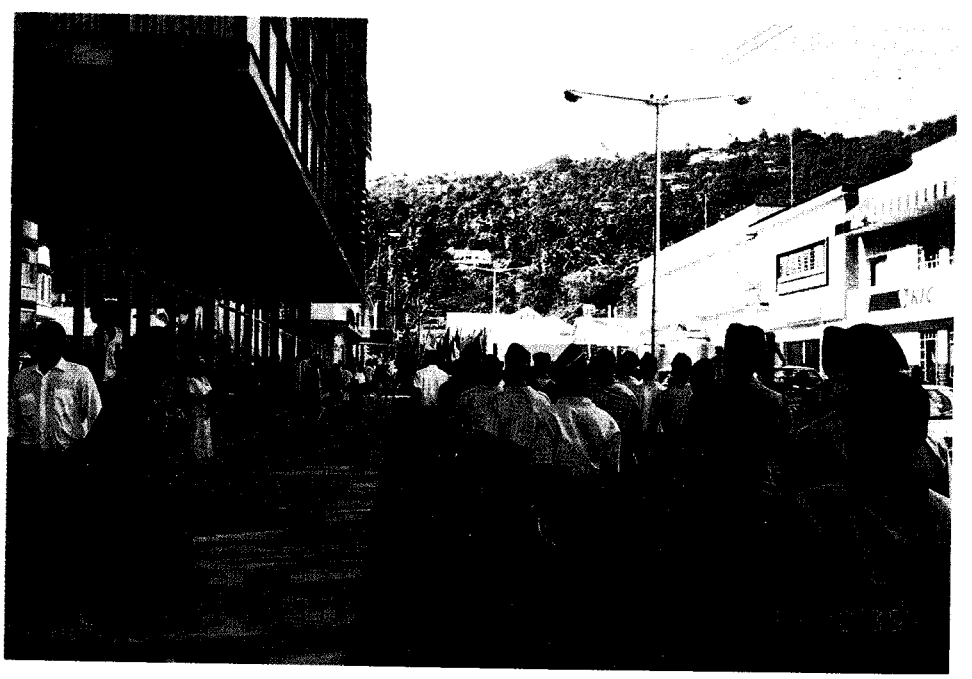

المسيرة الاحتفالية في وسط مدينة كاستروس عاصمة سانتا لوسيا

(تصوير المؤلف)

واسم السائق (صمولي لورانس كافيين) وهو مسيحي الديانة، مثل عامة الناس في الجزيرة كما أنه ذو مظهر إفريقي خالص، وأما اللغة فإنها الإنكليزية، وعندهم منها لغتان أو نوعان من لغة واحدة، إحداهما

الإنكليزية التي نعرفها وهي لغة التعليم والكتب. والثانية: يسمونها (الكريول)، والكريول هي المختلط بالإنكليزية والفرنسية. وذلك لكونها مختلطة ما بين الإنكليزية ولهجات محلية لا تصل إلى درجة أن تكون لغة مما أحضره الأفارقة معهم من بلادهم، وما أدخلوه من تغيير على الإنكليزية الفصيحة وهي لغة عامة الناس فيما بينهم، ولا يستطيع الغريب إذا سمعها منهم فهمها، . ولكنهم يوضحون له مرادهم منها بالإنكليزية إذا استدعى الأمر ذلك.

ميدان كولومبس:

وقفنا في ميدان كولومبس، وهو أهم ميدان في القسم القديم من المدينة. وهو واسع نسبياً رغم قدمه، لذلك يعقدون فيه الاجتماعات العامة في المناسبات الهامة التي تحضرها الجماهير.

طلبت من السائق أن يوقف سيارته لكي أنزل وأصور الميدان فذكر أن الشرطة لا يسمحون له بذلك، فلما ألححت عليه وقف وإذا بشرطي يأتي إليه مسرعاً فأخبرته بأنني سائح أريد التقاط صورة فأشار إلى مكان أبعد، وقال: يمكن أن تقف السيارة هنا، ويبقى فيها السائق.

وفي هذه الأثناء سمعنا صوت موسيقى مقبلة وطوائف من الناس قد لبسوا لباساً موحداً وآخرهم تلاميذ من تلاميذ المدارس وهم يتجهون إلى هذا الميدان (ميدان كولومبس) .

وتبين أن هناك بالفعل احتفالاً في هذا الميدان المهم (ميدان كولو مبس) والمراد به كريستوفر كولومبس مكتشف العالم الجديد.

ولكنني لم أستطع مشاهدته بسبب إلحاح الشرطة على السائق بإبعاد سيارته عن المنطقة وإلحاحه عليَّ في الركوب، ولم يعرف السائق سبب الاحتفال، هكذا قال لي .

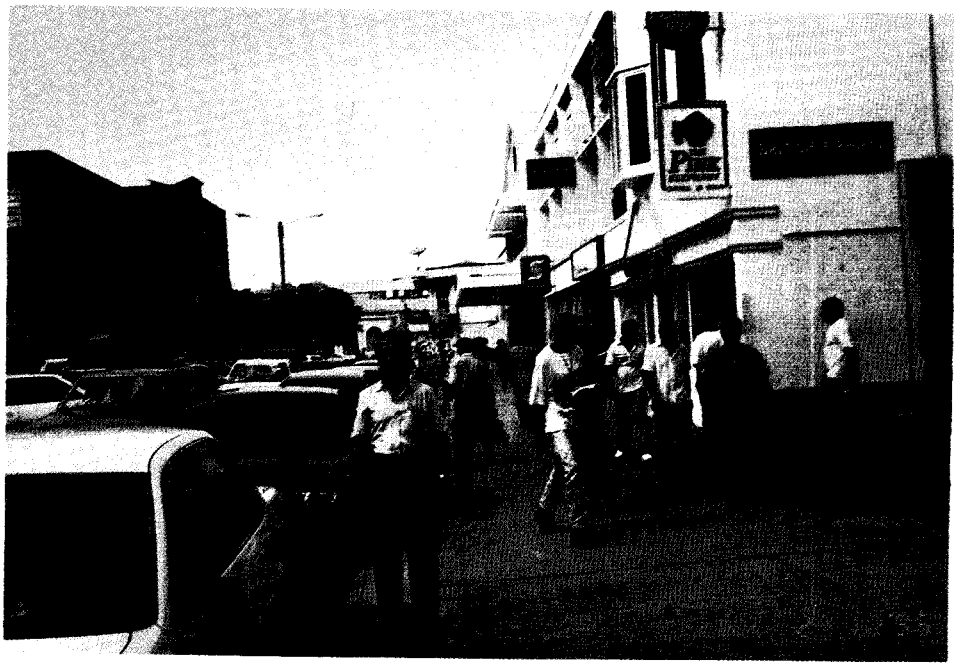

المؤلف في جانب ميدان كولوميس في كاستروس عاصمة سانتالوسيا

وقد أسرع يفتح مذياع السيارة وإذا به يذيع بلغة إنكليزية فصيحة نبأ هذا الاحتفال، وأن رئيس الوزراء سيحضره، وسوف يتوجه قريباً إلى ميدان (كولومبس).

كان الزحام في وسط المدينة بالغاً، ولم أرَ فرقاً بين الناس هنا والإفريقيين الأصلاء الذين يعيشون في إفريقية في الوقت الحاضر، إلا في كون الناس هنا يكادون يكونون في مستوى من العيش متوسط أو جيد، فمظاهر البؤس من العري ونقص التغذية لا توجد في البلاد.

وذكرت هنا ما قاله لي بعض الناس في باربادوس إن الناس في هذه المنطقة ليسوا بأغنياء؛ بل فيهم فقراء كثر، ولكن لا يوجد فيها جوع! أي أنه لا يوجد فيها أناس يبلغ بهم الفقر إلى حد الجوع.

ووسط المدينة جميل إلا فيما يتعلق بالزحام وضيق الشوارع الذي هو

السمة الغالبة على هذه الجزر الكاريبية، حتى المناطق المتقدمة في الإدارة مثل جزيرة مارتنيك التي هي منطقة فرنسية. بمعنى أنها جزء من الأرض الفرنسية فيما وراء البحار، وتتمتع لذلك بإمكانات إدارية متقدمة، وبفرص اقتصادية أكثر شوارعها ضيقة.

فوجئت البائعات في سوق كاستروس من التقاط المؤلف صورة للسوق

وتقع المكتبة العامة في ميدان (كولومبس) وهي في مبنى متميز أحمر الطلاء، وعندما رأيت المكتبة العامة في هذا المكان البارز ومعتنى بها هذه العناية عجبت من بعض بني قومنا الذين لا يعتنون بالمكتبات العامة، مع أن أسلافنا العرب والمسلمين هم أعظم من اتخذ خزائن الكتب الضخمة، وأوقف عليها الأوقاف، وحبس الأحباس، حتى إن المدرسة النظامية قد كفلت لطلبة العلم والمراجعين فيها الطعام والشراب وحتى غسل الملابس لكي يتفرغوا للبحث والمطالعة وتحصيل العلوم فيها..

وهؤلاء القوم الذين ليس لهم ماضٍ مثل ماضي الأمة العربية المسلمة

تراهم يعتنون بالمكتبات على ضعف إمكاناتهم، وتدني دخولهم، ونحن أولى منهم بذلك.

حي فولاشيو:

غادرنا وسط المدينة مكرهين بسبب الزحام وصعوبة وقوف السيارة، فخرجنا إلى حي في جانب العاصمة اسمه (حي فولاشيو) أهم ما تميز به أنه مركز تجميع الموز الذي ينتج في هذه البلاد ويصدر إلى بريطانيا الدولة التي كانت تستعمر هذه الجزيرة في السابق، فيجمع الموز هنا حيث كانت تأتي السفن المعدة لذلك، وتنقله إلى بريطانيا، وقد تغير الأمر الآن حيث صار التصدير لبريطانيا وغيرها، وصارت بريطانيا لا تعتمد في ذلك على مستعمراتها السابقة، وإنما تتعامل بالسوق الحرة لهذه الفاكهة وأمثالها ومع هذه الأهمية لمركز تجميع الموز الذي يقع على شاطئ البحر، مثل هذا الحي فإنني لاحظت أن أشجار الموز قليلة فيه، وإنما فيه أشجار قليلة من أشجار النارجيل، وقد التقط السائق لي صورة تذكارية بجانب إحدى أشجار الموز في هذا الحي.

ويتعلق الحي بتلة من التلال الخضر ببيوته المؤلفة من طابقين وثلاثة ابتداء من شاطئ البحر الذي يفصل بينه وبين الحي شارع البحر.

وحي فيجي:

سار السائق قليلاً بسيارته ثم أوقفها في مكان ليس فيه ما يسترعي الانتباه، وقال بكل تأثر وفخر: هذا هو المستشفى، لقد وقفت بك هنا لتراه وتصوره. ثم أخذ يكرر ذلك ويطلب أن يرى أثر كلامه في وجهي وهو يكرر كلمة مستشفى مستشفى (هسبتال. هسبتال) ويشير إلى مبنى صغير قديم المظهر مؤلف من ٤ أو ٥ طبقات، ويقول: لقد صار الناس يعرفون هذه المنطقة باسمه، فيسمونها منطقة المستشفى. ألا تريد أن ألتقط لك صورة مع

المستشفى؟

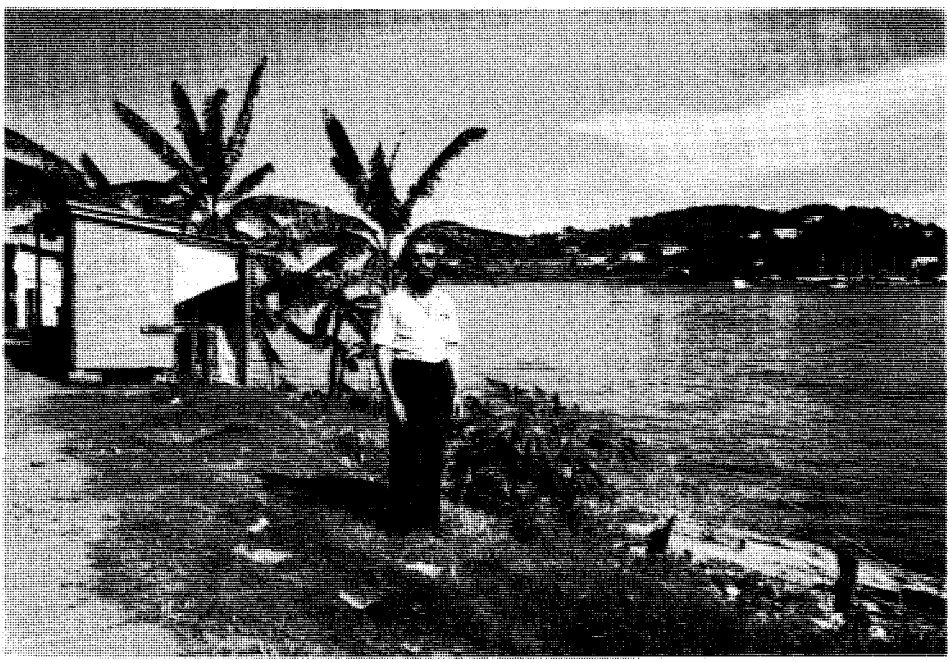

التقط السائق للمؤلف صورة تذكارية أمام أشجار من الموز الذي كان يصدر إلى بريطانيا في حي فولاشيو

عجبت من سخافة اهتمامه بمبنى معتاد، بل لا يستحق النظر، وقلت له: إن المستشفى لا يسترعي انتباهنا، ففي بلادنا مستشفيات كبيرة واسعة، جميلة المنظر، متطورة؛ فعجب من ذلك.

ولما عجز عن إقناعي بالاهتمام بهذا المستشفى انصرف عني، واستدبر السيارة حيث أقف، وبال وهو واقف مستقبلاً البحر الذي ليس فيه أحد.

وكنت أتأمل الحي فأجده كسابقه يقع بين البحر والتلال التي فيها أبنية غير متراصة، وتكاد تبتلعها أشجار الغابات.

وسرنا قليلاً على شاطئ البحر، ثم صعد التلة الخضراء، وأشار جهة اليسار إلى مبنى كئيب قال: إنه المارستان، وهو مصح الأمراض العقلية، وذكر أنه قسمان: قسم للرجال، وقسم للنساء، ويقع في قسم من التلة جميل

الموقع إذْ يطل على البحر الذي هو الخور الذي تقع على نهايته مدينة كاستروس العاصمة.

وعندما سألته عن حالة سكان هذا المارستان زم شفتيه بتقزز وقال ما معناه: إنها رديئة .

وسجن النساء :

غير بعيد عن المارستان يقع سجن النساء، وقد أوقف سيارته غير بعيدة عنه، وذلك ليريني ثلاثاً من السجينات يعملن في الحديقة الخارجية للسجن وهي مفصولة عن الشارع بحاجز من شباك الحديد .

ورأيت السجينات وعليهن ضابطة شرطة واقفة تراقبهن، وقال السائق: إن جميع من يعملون في هذا السجن سواء للحراسة أو غيرها من النساء .

وأردت أن ألتقط صورة لهؤلاء السجينات الثلاثة فانبرت إحداهن بصوت سليط ولكنه حزين تنهرني عن التقاط الصورة قائلة إننا لانسمح لك بالتقاط الصورة. ولغتهن إنكليزية لذلك فهمت ما قالته، وقلت للسائق : قل لها : إن هذا سائح غريب لاينشر هذه الصورة في بلادكن ، ولا ينشرها إلا في بلاده ، فسألن في عصبية عن بلادي ، فقلت: إنها بلاد العرب ، فكانهن قد عرفن مكاني أو عنواني مع أن بلاد العرب شاسعة واسعة . كانت السجينات يحملن المناجل لأنهن يعملن في حديقة السجن فلوحن بها أمامي كالمتوعدات وعيونهن تطفح بالشر، ولكن أنى لهن الخروج.

هذا والضابطة الواقفة لم تقل شيئاً. وكلهن مثل سائر الناس من السوداوات وكأنهن الإفريقيات اللاتي لم يفارقن إفريقيا.

والمكان مثل سابقه يقع على تلة خضراء مرتفعة تطل على خليج كاستروس الذي تحيط به التلال الخضر أيضاً من الجهة المقابلة.

وكان السائق يحمل مصورتي و أنا أختار مكاناً يلتقط لي فيه صورة

تذكارية فأسرع يلتقطها وهو يقول: لقد التقطت لك صورة مع الطائرة.

والطائرة صغيرة مثل التي قدمت عليها أمس مع هذا الممر الجوي نفسه وفي المطار نفسه.

وبقيت فترة أستجلي المنظر الجميل الذي يطل على شاطئ الجزيرة الجنوبي الغربي بمياهه العميقة الزرقاء وهذا الخور أي الخليج المتفرع عنه الذي تقع في نهايته عاصمة سانتا لوسيا والربى الخضر المحيطة به. وجزر صغيرة منعزلة في البحر تصغر عن أن تسكن ولكنها خضراء جبلية وأذكر أن واحدة منها يشبه شكلها الحصان مما ذكرني بجزيرة صغيرة رأيتها في ساموا الأمريكية في جنوب المحيط الهادي وهي جزيرة تقع غير بعيدة من جزيرة ساموا الغربية المشهورة.

وكنت ذهبت عندما زرتها مع شركة تنظيم الرحلات السياحية ولكنها في ذلك اليوم لم يكن لديها إلا اثنان أنا وامرأة أسترالية أحضرتها السيارة قبلي ، فقال الدليل الذي هو سائق السيارة في مستهل الجولة: إن جولتنا تشمل الاطلاع على كذا وكذا وجزيرة البعير (الجمل) فقلت له: قف أين البعير من المحيط الهادئ ؟ فقال: إن هذه الجزيرة تسمى جزيرة (الجمل) لأن شكلها يشبه شكل الجمل.

ورأيت الجزيرة (البعيرية) ولا أقول الجملية لأنهم في الإنكليزية يريدون بكلمة الجمل ما تدل عليه كلمة البعير عندنا وليس ذكر الإبل. فرأيت أنها على البعد تشبه الجمل البارك، أو الواقف الذي غاصت رجلاه في الماء لأنها واقعة في مياه البحر، ولكنني عجبت آنذاك من شجرة من أشجار النارجيل متطفلة قد نمت على ظهر الجمل !!.

وقد صورت الجزيرة المذكورة وذكرتها في كتاب: « نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض ».

أما في هذه الجزيرة الكاريبية فإن المنظر الآن يشتمل على منازل بيض

وسط الجزر غير المسكونة يقصدها السياح ربما لكي يشعروا بأنهم يسكنون في جزيرة ولا يشاركهم في ذلك غيرهم مثلما يحدث في جزر مالديف الآن حيث يستأجر بعض السياح جزيرة صغيرة ليس فيها إلا أشياء بدائية مثل سراج الزيت، وحطب الطبخ والبئر الذي يستقون منه الماء، يفعلون ذلك ليفروا من الحياة المدنية المعقدة التي كانوا يعيشونها ولو كان ذلك إلى حين، وتوفر لهم مالديف ذلك لكونها جزراً صغيرة أكثرها غير مسكونة .

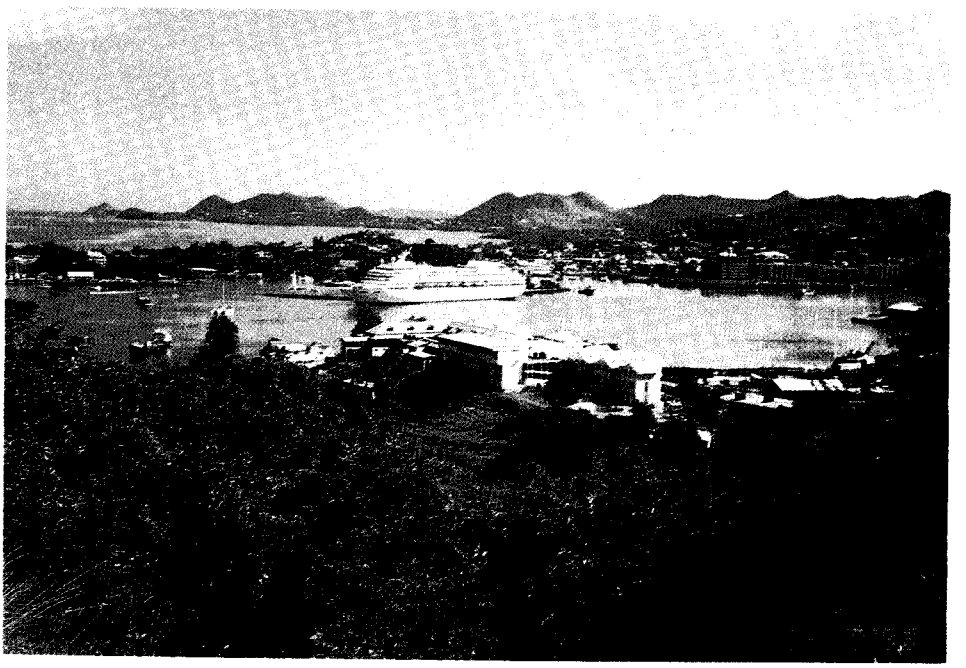

ميناء كاستروس في سانتا لوسيا

مدرسة الموسيقى :

تركنا هذه المنطقة الجميلة بمناظرها ومواقعها المحزنة بما فيها من منازل محزنة من المارستان إلى سجن النساء وصعدنا قليلاً حيث وقفنا عند مدرسة للموسيقى غير بعيدة عن تلك المنازل المحزنة وليس ذلك من أجل سماع الموسيقى مع أننا كنا نسمعها ونحن في الشارع وإنما لأجل التقاط صورة

لمنطقة الخور الذي تقع عليه العاصمة لأن هذا المكان أعلى والصورة منه أوضح .

وبهذه المناسبة قال السائق: إن الموسيقى مهمة عندنا فالسجينات يسمعن الموسيقى . ثم عاد الحديث إلى الأبنية التي لا تسر عندما مررنا ببناء منشور المنازل كل منازله من طبقة واحدة . وقال السائق: هذا مستشفى المدمنين على الخمور.

وفسر ذلك بقوله: إن بعض الناس يدمنون على شرب الخمر حتى لا يستطيعوا أن يكفوا عنها فينقطعون عن العمل ويصبحون عالة على المجتمع لذلك تعالجهم الدولة في هذا المستشفى حتى يزول عنهم الإدمان ويستطيعوا أن يستأنفوا نشاطهم في المجتمع فقلت له: إننا في بلادنا لا نعرف مثل هذا المستشفى لأن ديننا الإسلامي الحنيف يمنع شرب الخمور وحكومتنا تحارب المسكرات فلا يوجد في بلادنا من يشرب الخمر علناً فضلاً عن أن تعرف عنه ذلك.

وقلت له: إن العاقل لا يشرب الخمر لأنه بذلك يساعد على فقدان عقله كله أو بعضه بسبب ما يتناول من المسكر قلة وكثرة.

فقال: أنا لا أشرب إلا قليلاً في بعض الأحيان ، فقالت له: إن شرب القليل يجر إلى شرب الكثير، والأفضل للعاقل منكم أن يسد عنه هذا الباب كله.

وقلت له بهذه المناسبة: ألم تقرأ شيئاً عن الإسلام؟ ألا تعرف عنه شيئاً؟ فقال: لا ، لم يحدثني أحد عنه، فقلت له: إنني أحدثك الآن ، فتلقى ذلك بدهشة بالغة، وقال: لم أفكر في هذا الأمر.

ولم أجد عنده ما أريد من التجاوب فتركته وقلت له: إن هناك مراكز إسلامية في الجزر المجاورة لكم وأقربها جزيرة المارتنيك وجزيرة قرينادا تستطيع أن تتصل بهم ، وأن تطلب منهم ما تريد من الكتب الإسلامية، كما

أنني مستعد لأن أرسل إليك بترجمة معاني القرآن الكريم بالإنكليزية إذا شئت.

المسلمون في سانتا لوسيا :

وهنا سألته عما إذا كان يعرف أحداً من المسلمين في هذه الجزيرة لأنني أريد أن أقابله، فقال: إنه يعرف واحداً لكنه لا يعرف عنوانه، لأنه كان ينزل بيتاً يعرفه ثم خرج عنه إلى بيت لايعرفه.

فقلت له: ألا تعرف أحداً من العرب في هذه الجزيرة؟ فقال: لا. فقلت له: إنني أقصد اللبنانيين والسورين والفلسطينين مثلاً، فقال: بلى، إنني أعرف بعض السورين وإنهم أصحاب متجر كبير في وسط المدينة يمكننا زيارته، إذا عدنا للمدينة.

الصعود للتلال :

واصل السائق الصعود بسيارته مع طريق مزفت لابأس به يشق هذه التلال وهو صاعد فيها حتى وقفنا في مكان مرتفع يطل على منطقة العاصمة وما حولها فتشاهدها منه، وكأنما أنت تراها من طائرة صغيرة.

واسم هذه المنطقة(لا توق رود) وقد التقطنا فيه صورة تذكارية.

ومع ارتفاع المنطقة فإنها مأهولة ببيوت متفرقة لا يكاد المرء يراها في وسط أشجار الغابات الكثيفة.

ثم انتقلنا إلى تلة مرتفعة متميزة، لأن فيها قصر حاكم الجزيرة، بل الدولة، واسمه (لويس).

ونوه بأنه من أهل الجزيرة، وليس بريطانياً، مع أن التي تعينه رسمياً هي ملكة بريطانيا، ويقع القصر في قمة هذه التلال العالية، يشرف على المنطقة أيضاً تظلله الأشجار الباسقة الوارفة الظلال.

وقد أوقف السائق سيارته عند باب القصر مباشرة، وقال: يمكنك أن تدخل إلى حديقته هذه إذا أردت، وتفصله عن الشارع بوابة من شبك الحديد رأيتها مفتوحة ، وعندها رجلان ظننتهما من الحرس، وتبين أنهما يعملان في حديقة القصر.

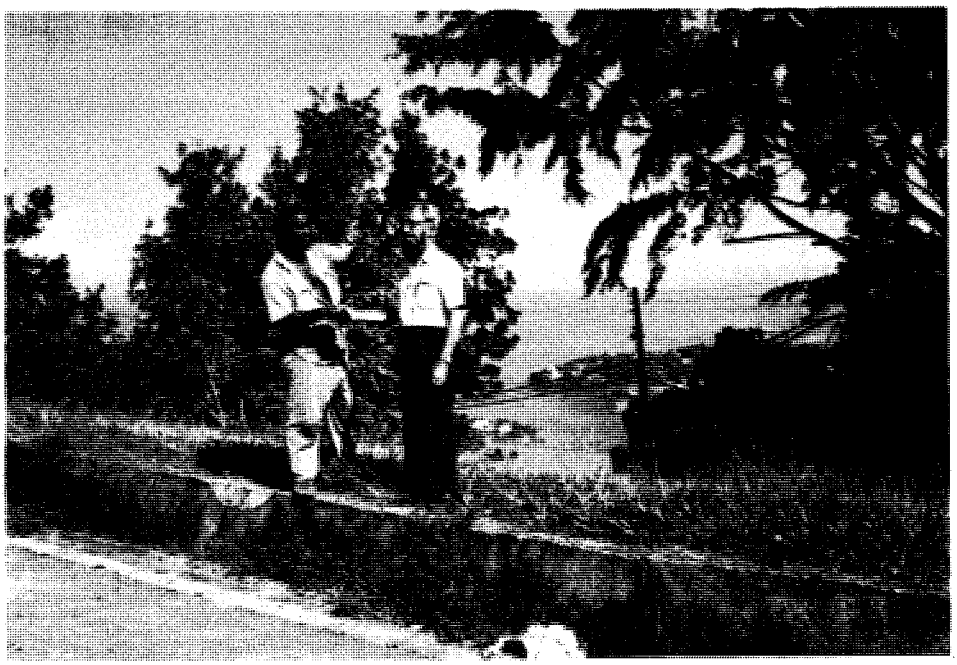

صورة مع سائق سيارة الأجرة في المنطقة المرتفعة المطلة على البحر في سانتا لوسيا

وقد التقطت صورة لمبنى القصر عند المدخل الذي هو بعيد نوعاً ما، إلا أن عجبي كان بالغاً من عدم وجود حراس أشداء عند بوابة القصر الخارجية أو حوله.

في القمة :

ارتفع السائق وهو يسير بسيارته إلى التلال حتى وقف في مكان أشار إلى جهة اليمين منه وقال : هنا إذاعة سانتا لوسيا، إنها تذيع من هذا المكان

المرتفع بلغتين هما الإنجليزية والكريول. قال: و لا توجد في الجزيرة لغة ثالثة. ثم أشار إلى اليسار وقال: هنا مكان مرتفع وهو أعلى موقع في هذه المنطقة ويسمى (مونت فورتون).

وجدنا في هذا المكان امرأة تبيع بضائع صغيرة مما يشتريه السياح في العادة مثل تذكارات الزيارة، و تماثيل صغيرة مما هو مصنوع في هذه البلاد، ولم أجد عندها ما أريد شراءه وهو كتيب أو منشور يوضح بعض تاريخ الجزيرة، ولا حتى البطاقات البريدية التي تكون عليها بعض المناظر المهمة.

وقد بنوا في طرف هذا المرتفع الذي يطل مباشرة على وادٍ منخفض جداراً قصيراً ليحمي السيارات والذين لا ينتبهون إلى وجوده من خطر التدهور.

هذا وقد انبسط ظهر هذا المكان المرتفع فسرنا فيه قليلا حيث وصلنا إلى المدرسة التقنية كما يسمونها، وقد قطعوا أشجار الغابات من هذا المكان المرتفع لكي يوسعوا للأبنية المهمة فيه.

وفي جانب مرتفع من هذه القمة نصب تذكاري معتنى به، وليس قديماً إذ كتب عليه تاريخه بأنه في عام ١٩٢٧ م، ورأينا في هذا المكان فتى كالمرشد السياحي يشرح للزوار ما يريدون شرحه، قال: هذا النصب أقيم لتخليد ذكرى أحد الإنكليز الذين قتلوا هنا، ولم يزد على ذلك رغم استيضاحي عنه، وربما كان قتله الأهالي. وقد لاحظت أن من عادتهم ألا يستقصوا في إخبار السائح بكل ما يريد معرفته من أمور البلاد طلباً للاختصار، أو لعدم اقتناعهم بأهميتها له.

والطريف في الأمر أنهم وضعوا مدفعين قويين في هذه التلة أحدهما مدفع فرنسي والآخر إنجليزي، وقد كتب على الإنجليزي تاريخ صنعه في عام ١٨٦٠ م.

وقال الدليل: لقد استعمل هذان المدفعان إبان تنازع بريطانيا وفرنسا

على هذه الجزر، وقد استعمل الفرنسيون مدفعهم هذا سبع سنين قبل أن يستولي عليه الإنجليز منهم، وواضح أن المدفع الإنجليزي أكبر من المدفع الفرنسي.

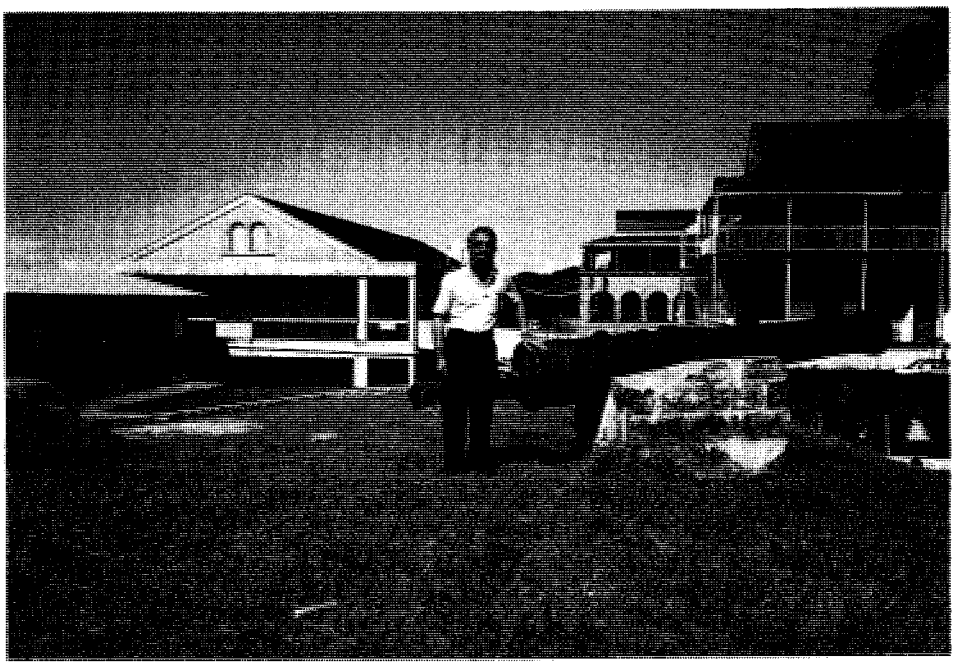

المؤلف بجانب المدفع الفرنسي القديم في المنطقة السياحية من سانتا لوسيا

ويطل هذا المكان على جهة خلفية من جبال الجزيرة ووديانها التي هي في غاية الاخضرار، ومكسوة كلها بأشجار الموز. وقال السائق: انظر إلى كثافة الموز هنا إننا نصدر منه الكثير.

والهواء فيها أقل رطوبة، وقد ذكر الدليل أن الموقع يرتفع ١٩٥٠ قدماً عن سطح البحر، وهذا ليس ارتفاعاً شاهقاً، ولكن ذو أثر واضح لكونه مباشراً قريباً من البحر، و لو كان متدرجاً لما كان له مثل هذا الأثر.

وفي الشاطئ الخلفي لهذه المنطقة ميناء فيه شركة أمريكية تملك فيه مصفاة للزيت تستورده من فنزويلا القريبة منهم، ولذلك رأينا خزاناتها كبيرة

عديدة.

وقد ألح الدليل في طلب الحلوان (البقشيش) فأعطيته ما تيسر وهو قليل إذْ ليس لدي من عملتهم شيء. ولا طريقة لصرف الدولار الأمريكي في هذا المكان، وهو أسمر نحيف اسمه (بيجو آضم).

بداية النزول:

قال السائق الذي هو الدليل: لقد انتهينا من الارتفاع في هذه الأجزاء الجبلية التي تعتبر أحياء من أحياء العاصمة (كاستروس)، و بعض الناس يعتبرونها قرى منفصلة، وقد يكون هذا أصح لكونها بعيدة عن وسطها.

وقال وقد عرف الآن شغفي برؤية الأشياء المهمة: إننا سوف نعود إلى مدينة (كاستروس) من طريق آخر غير الطريق الذي جئنا منه إلى هنا لكي نرى فيه ما لم تره.

وقد وصلنا فور بداية الانحدار إلى كلية عندهم، وهي الوحيدة التي توفر التعليم العالي لأنه لا جامعة عندهم.

وبقي أن نذكر أن سكان الجزيرة لا يزيد عددهم على مائة وواحد وخمسين ألفاً، حسب آخر إحصاء، وأنهم ثقافياً يؤلفون جزءاً من جزر البحر الكاريبي هذه، وأنه توجد في بعض تلك الجزر مثل ترينداد وجامايكا جامعات أو كليات جامعية تدرس باللغة الإنكليزية التي هي اللغة المشتركة معهم.

ولم نقف عند هذه الكلية التي أعارها السائق كثيراً من الاهتمام مثلما فعل عندما مررنا بالمستشفى من قبل، وإنما واصلنا السير، ولاحظت أن السيارات في الطريق ليست كثيرة، مثل العاصمة التي يشتد فيها الزحام لضيق شوارعها و كثرة السيارات فيها.

ومما يجد ذكره هنا أن السير عندهم إلى جهة اليسار مثلما هو موجود الآن في بريطانيا. وليس إلى اليمين كما هو في الولايات المتحدة وأكثر بلدان العالم، ومنها بلادنا العربية.

منظر فوق سطح القمر:

هذه ترجمة حرفية لاسم مكان أو نقطة أوقفني السائق عندها، فاسمها بالإنكليزية: (أب مون فيو بوينت)، وهو طويل، ربما لو أسموها (فوق القمر) لكان هذا أخصر، وربما أدى المعنى الذي قصدوه.

و(منظر فوق القمر) هو موقف فوق الجبل يطل إطلالاً مباشراً على الخور وهو الخليج البحري الذي تقع عليه العاصمة (كاستروس)، ويشرف المرء منه على المدينة القديمة عن قرب لأنه فوقها.

وقد اعتنوا به فأحاطوه بسياج جديدي قوي يرتفع إلى صدر الرجل لحماية الواقف فيه من التدهور؛ بل إن فيه سياجاً حديدياً مضاعفاً لأن داخله ممر أدنى إلى حافة الهاوية.

وفي المكان باعة من الوطنيين أكثرهم من النساء يبيعون منتوجات محلية أكثرها تماثيل طيور غريبة من الصلصال، وقلائد بعضها مستورد، وملابس منوعة. مع ملاحظة أنه لا يوجد لباس وطني مميز للناس في هذه الجزيرة إلا إذا كان ذلك يوجد في المناسبات، وإلا فإن المرء لا يرى عندهم شيئاً من ذلك، وقد سألت عنه هنا فلم أجده.

و هناك فاكهة محلية أيضاً.

ولاحظت كثرة السياح في المكان حتى كادوا يكونون أكثر من الباعة والمواطنين فيه. وذلك لكون هذه الجزر قد أصبحت جزراً سياحية بما فيها من شواطئ دافئة؛ بل حارة على طول مدار السنة، إضافة إلى هدوء الطبيعة، والبعد عن الخصام والجريمة الموجود فيها، بل سهولة المعاملة من

شعوبها الإفريقية الأصل.

الباعة وبعض السياح في مرتفع (مونت فورتيون) في سانتا لوسيا

ورأيت السياح يلتقطون صورا للمدينة وللمنطقة التي تقع فيها من هذا المكان الذي تبدو منه واضحة، فالتقطت صوراً لها وصورة للباعة في المكان.

العودة إلى العاصمة:

عدنا إلى مدينة (كاستروس) العاصمة، فمررنا فوق جسر على نهر مختلط بمياه البحر لقربه من الشاطئ وعدم ارتفاع مستواه، وعلى ذكر الأنهار قال السائق: إن في جزيرتنا كثيراً من الأنهار، وأقول إنها في ظني أو أكثرها أنهار صغيرة.

ودخلنا وسط المدينة التجاري مع شارع تجاري مزدحم جداً بالسيارات اسمه (كاستروس بوليفار)، وقد أسموه (بوليفار) مع أنه ضيق وقصير ويتألف من جزأين أحدهما للذاهب، والثاني للآيب، وبينهما جزيرة ضيقة.

وأوقف السائق سيارته فيه، ولكنه لم يستطع أن ينزل منها لأنه لم يجد موقفاً مناسباً، فالتمست أحد السياح الذي التقط لي صورة فيه.

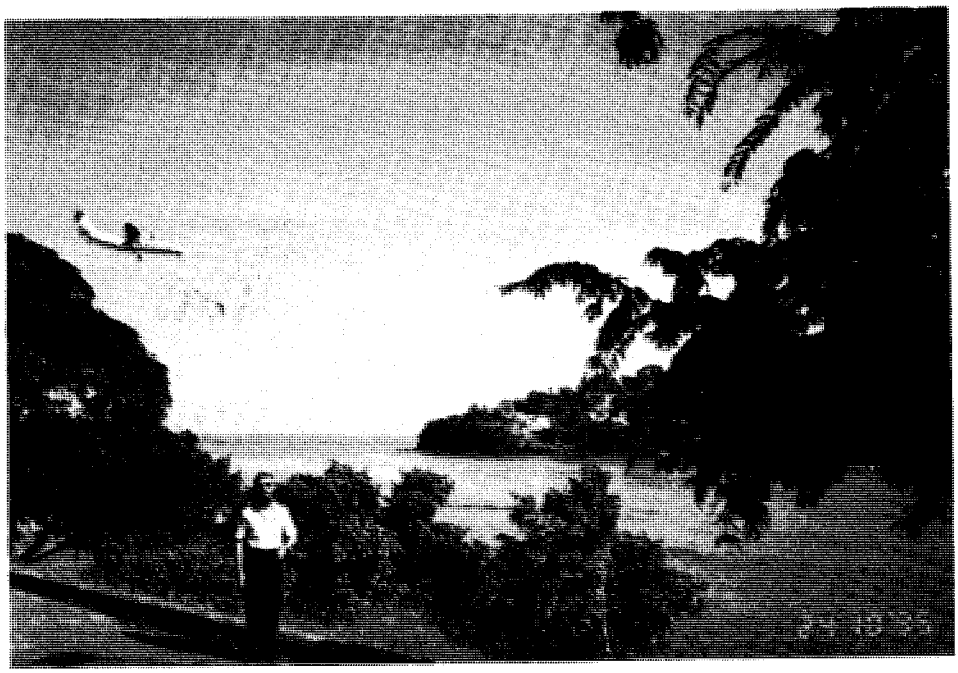

التقط السائق هذه الصورة للمؤلف ولطائرة صغيرة كالتي قدم عليها أمس فوق خليج سانتا لوسيا

وقد اخترت هذا السائح حذراً من أن يأخذ أحدهم المصورة ليلتقط لي فيها صورة ويبتعد عني ثم يهرب كما يحدث في بعض البلدان في أوربا وغيرها. ولذلك توصي شركات السياحة ألا يعطي الرجل مصوِّرته (آلة التصوير) إلا لمن يعرفه أو يثق فيه.

ولما سألت السائق عما إذا كان يخشى من حدوث ذلك في هذه البلاد قال: هذا لا يحدث هنا، و ما من أحد شكا من أخذ مصورته.

وذكرت بهذه المناسبة أنني كنت مرة جالساً في مقهاة من مقاهي شارع الشانزلزيه المشهورة في باريس، و في المقهاة حوالي ٥٠٠ شخص من سائر الأجناس وأكثرهم من ذوي اللون الأبيض، فلم أشعر إلا بشخص يأتي إليَّ

ومعه مصورته، و يقول: هل تسمح بالتقاط صورة تذكارية هنا لي ولزوجتي يظهر فيها قوس النصر.

ولم يكن الرجل وزوجته في كرسي ملاصق لي، والتقطت له الصورة، وما زال عجبي شديداً من كونه اختارني من دون سائر الجالسين في المقهاة !

وقال السائق أيضاً: الأمن هنا مستتب، والناس مهذبون مؤدبون؛ لكن هذا لا يمنع من وجود بعض الأشقياء، و لكنهم قلة.

وأردت أن أستثير عاطفته لأعلم مدى تمسكه بدينه فقلت له: أيكون السبب في ذلك أن الناس متدينون في هذه الجزيرة ؟ فنفى ذلك بشدة وبتأثر، وقال: هذا غير صحيح، فأنا- مثلاً – ولدت كاثوليكياً، و ما أزال أوصف بذلك، لكنني لا أومن بالكاثوليكية و لا بكنائسها، ولا آخذها في الاعتبار، إن الكاثوليكية ديانة سيئة، وعجبت من رجل يتكلم عن الديانة التي ولد عليها بهذه الجرأة من الذمِّ.

فقلت: وما رأيك في الإسلام ؟ فقال: لا أعرف عنه شيئاً، واقتصر على ذلك، كأنه رأى الاكتفاء بما سبق عن الحديث معه في الموضوع.

عرب مسيحيون:

ذهبنا إلى متجر أحد السوريين الذين يعرفهم السائق، فسلكنا شارعاً واسعاً نسبياً اسمه (شارع جيري)، وهو قصير، ثم جلنا في شوارع الوسط التجاري في المدينة، ويغلب عليها القصر والتقاطع بعضها مع بعض.

ووصلنا إلى متجر واسع فيه أكثر من باب، ورأينا العربي (ميخائيل حبيب) من عين الباردة في سوريا. كلمني بلسان عربي مبين، و كأنه لم يغادر سوريا، و قال: يوجد في هذه الجزية ٢٥ أسرة عربية من سوريا، وأسرتان من لبنان فقط، وكلهم مسيحيون ولا يوجد أي مسلم من العرب هنا.

و سألته عن المسلمين من غير العرب فقال: لا أعرف إلا شخصاً واحداً أصله من الهند أو باكستان، و قد هاجر من هذه البلاد. أما العرب فلا يوجد فيهم أي مسلم.

وقال: العرب هنا أهل أعمال تجارية (بزنس)، وكلهم أغنياء.

كان يقول ذلك و أنا أرى الشاهد عليه في متجره الواسع الذي يظهر أنه يبيع بالجملة لأن فيه مقادير كبيرة من الأقمشة التي تباع (طوائق) أي لفات كبيرة.

وأكثر بضاعته من الملابس والأحذية، و هو نفسه مديد القامة، وجيه المنظر.

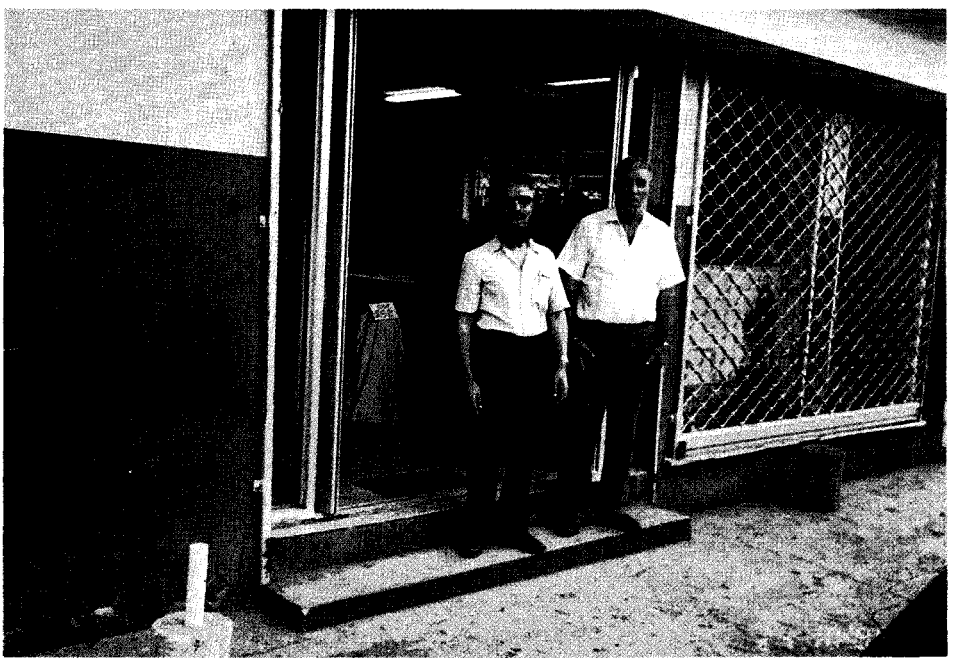

التاجر العربي ميخائيل حبيب عند باب متجره مع المؤلف في كاستروس عاصمة سانتا لوسيا

لم يدعني هذا العربي السوري إلى الجلوس في محله، ولذلك كنت

أكلمه و نحن واقفان، وبدا لي أنه لم يفهم ما قلته له من سبب في السؤال عن العرب و المسلمين، وهو أنني عربي سعودي وصلت إلى هذه البلاد، وأريد أن أفهم وضع العرب و المسلمين فيها، لذلك كان حديثه مقتضباً، و فيه شيء كثير من التحفظ.

سألته عما إذا كان يوجد مطعم عربي للسوريين أو اللبنانيين حتى أتغدى فيه، فقال: لا يوجد مطعم، ولكن يوجد طعام عربي تصنعه امرأة عربية، وتبيع منه على من يريد، و وصف المحل بأنه قريب، إلا أنني ودعته وذهبت مع السائق، فوقفنا على المحل الذي أشار إليه، فلم نجد أية علامة على مطعم أو نحوه؛ غير أن (ميخائيل حبيب) أسرع إلينا يقول هذا ويخاطب فتاة في المتجر عربية بقوله: يريد الطعام العربي، ثم ينصرف.

وفي هذه الأثناء دخل صاحب المحل و هو عربي سوري مسيحي اسمه (غازي حديد)، سلمت عليه وأخبرته بصفتي، فظن أنني مبعوث من المملكة من أجل أن أعرف وضع العرب هنا. وتبين لي أن السوريين – بوجه خاص – حساسون لكل ما يتعلق بالمعلومات أو المعرفة عن الأشخاص، وربما كانوا حملوا ذلك معهم من المنطقة العربية.

قال (غازي حديد) مثلما قال ميخائيل حبيب: كل العرب هنا مسيحيون، وكلهم سوريون إلا أسرتين فمن لبنان، وقال: السوريون ٢٢ أسرة، وليس عليهم أي ضغط أو مضايقة، ونحن كلنا تجار، وتجارتنا رابحة، والقوم هنا طيبون لا يضايقوننا.

ومن الطريف أنني عندما سألته عن المسلمين من أهل البلاد حيث تيقنت أنه لا يوجد عرب مسلمون فيها أجاب: بأنه لا يعرف أي شخص مسلم من المواطنين الأصلاء في هذه الجزيرة، و لكن في الجزيرة التي ستذهب إليها بعدها، و هي (دومينكا) وكنت أخبرته أنني ذاهب إليها بعد (سانتا لوسيا)، يوجد مسلم كبير من المواطنين لا أعرف اسمه؛ لكنه مشهور هناك

بالحاج، قال: وهو تاجر كبير، وهو يساعدني، ويتعامل معي جيداً عندما عرف أنني سوري؛ لأنه يعتبر أن السوريين كلهم مسلمون، فيكرمني ويقول: السوريون مسلمون. قال : و لم أقل له إنني مسيحي.

أقول: لقد قابلت الأخ المذكور بعد ذلك و ستأتي قصته، و هو رئيس الجمعية الإسلامية في (دومنيكا).

لم أجد في محل (غازي حديد) الذي هو متوسط السعة أي شيء يدل على مطعم، فقلت له: إن ميخائيل يقول: إن لديكم طعاماً عربياً، فقال: نعم، ودخل إلى غرفة منفصلة عن المحل مع باب في أقصاه، وفيها مطبخ غازي عليه آنية، و قال: هذا هو الطعام تطبخه زوجتي و تبيعه على العرب.

ثم جاءت زوجته عربية فصيحة طلقة اللسان، بل هي أفصح لساناً وأوضح بياناً من زوجها، و قالت: ليس عندنا مطعم، ولكني أسلي نفسي بعمل الطعام العربي، ويأتي إلينا أناس من العرب وغيرهم ممن يريدون الطعام العربي فيشترونه مني يحملونه معهم إلى بيوتهم و محلاتهم التجارية.

والمرأة في حدود الخمسين، ولكنها نشطة وذكية.

وطلبت ما أردت من الطعام العربي الذي وجدته عندها تكاد رائحته تشق الأنف، و منظره يشوق العين والمعدة، و طلبت أن تعده بينما أعود من زيارة متجر عربي ثالث.

ووجدت المتجر العربي الثالث لقوم من العرب السوريين المسيحيين أيضاً، وفيه فتى منهم فصيح اللسان كأنه لم يغادر سوريا رغم حداثة سنه.

ومتجره كبير وواسع، ويعرف سائقي، لذلك سلم عليه سلاماً حفياً، وقال لي: نحن لا نشكو من شيء هنا.

وعدت لأجد الطعام معداً مغلفاً فأخذته معي إلى الفندق وهو من الأرز بالشعيرية واللحم المفروم، إلى جانب لحم صليق، ومرق فيه البامية الجيدة،

وبطاطس وخيار مقشر وفاكهة (أبوكافو) التي تؤكل قبل الطعام مع الملح فتكون بمثابة السلطة، وبعده مع السكر، فتكون بمثابة الحلوى.

ودفعت ثمنه (١٥) دولاراً من دولاراتهم التي هي الدولار الكاريبي ويساوي ذلك ٦ دولارات أمريكية.

وعجبت من فكرة هذه المرأة السورية، فحالتها المالية وحالة أسرتها لا تبين عليها الحاجة، ومع ذلك تعمل هذا العمل الذي يدر عليها شيئاً من المال وينفع الآخرين لتوفير ما يشتهونه من طعام شهي !.

سوق الخضرات:

خرجنا من الوسط التجاري من المدينة إلى ضاحية قريبة واسعة، فوقفنا عند سوق للخضرات والفاكهة، نظيف مرتب، أكثر ما فيه من الفاكهة الموز الذي هو فيه أنواع منوعة من موز الأكل المعتاد إلى نوع أصغر منه وأغلى، ومن الموز الأخضر الكبير الذي يطبخ أو يقلى، ولا يؤكل طازجاً.

وهناك البرتقال الاستوائي أو المداري نسبة إلى المناطق المدارية الحارة، وهو أخضر الجلدة صلب الملمس، لذلك يصعب تقشيره إلاّ بسكين، ولهذا السبب يبيعونه في بعض البلدان الاستوائية مقشراً، ورأيتهم في البرازيل يعصرون الكثير منه عصيراً طازجاً لذيذاً، لأنه كثير الماء، وفي السوق الطعام الذي لا يكاد يخلو منه سوق من أسواق الخضرات والفاكهة في البلدان الاستوائية المطيرة وما قرب منها، وهو (اليام) ومثله (الكسافا) بلونه الذي لا يوحي لمن لا يعرفه بأنه طعام يؤكل، وذلك لكونه كتلاً غير متساوية الأبعاد، ملفوفة بقشر خشن نوعاً ما، رمادي اللون أو بنيه.

وأهل هذه المناطق يقشرونه ويصنعون منه وجبة طعام كاملة مثلما نصنع طعامنا من الأرز أو القمح. وهناك (البامية) وهي شحيحة غالية إذْ رأيتهم يبيعون القرون العشرة أو الخمسة عشر منها جزافاً، إذْ يحزمونها بخيط

ويبيعونها غالية.

والقرع وهو قريب من الموجود عندنا، قد قسموا القرعة الواحدة حتى الصغيرة إلى عدة أقسام، يبيعون كل قسم وهو بحجم كف الإنسان وحده.

وهناك الليمون الصغير المسمى عندنا بنزهير، وهو كثير ورخيص. وجوز الهند، وهو ثمار النارجيل يباع عندنا جافاً لاستخراج الزيت منه، ولأكل لبه المشبع بالزيت.

وفاكهة (قريب فروت)، ولكنها كالبرتقال تخالف المعروف عندنا، فهي هنا خضراء الجلدة صغيرة الحجم، والباباي تلك الفاكهة الوحيدة الخالية من الإنزيمات، موجودة ولكن بقلة، وهي أحسن الفواكه، وخالية تماماً من المواد المضرة بالمعدة، والمعروض هنا منها كله أخضر.

سوق الخضرات والفاكهة في كاستروس عاصمة سانتالوسيا

ومن الغريب أنني وقفت على إحدى البائعات، وعندها أنواع من الموز

فسألتها – والكلام كله بالإنجليزية – عن الذي يطبخ منه من الذي يؤكل طازجاً، فقالت: كل هذا الذي تراه عندي من الموز يطبخ ولا يؤكل طازجاً.

وقد اشتريت بعض الموز للأكل وهو رخيص، فأكلت منه ما كفاني أنا والسائق، وأظنه ستة أصابع بدولارهم الذي يساوي ريالاً وثلثاً من ريالاتنا السعودية.

وعدت إلى الفندق: فندق الكاريبيين في حدود الثانية عشرة، فأعطيت السائق أجرته عن كل ساعة ١٥ دولاراً أمريكية، وقال: الحكومة قد قررت ٢٠ دولاراً للساعة. وفي غرفتي الواسعة الجيدة التي تطل على مناظر مفتوحة متنوعة من الربى الخضر إلى البحر الأزرق الصفحة، تمتعت بالطعام العربي الذي أكلت منه ما يكفيني حتى نهار غد، وقارنت بينه وبين عشاء الفندق البارحة الذي كان نزر المقدار، غريب الصنعة، غالي الثمن، فوجدت أن لا وجه للمقارنة.

وطلبت من أهل الفندق أن يمهلوني إلى ما بعد الواحدة فأجابوا إلى ذلك، فصليت الظهر والعصر جمعاً.

وكانت الشمس ساطعة طول ما مضى من اليوم، غير أن الجو غام بسرعة في الواحدة، فانهمر المطر بسرعة أيضاً، وحمدت الله تعالى الذي لم يجعل الدنيا تمطر عندما كنت في الجولة، وإلا لكان المطر منعني من الكتابة ومن التصوير.

مغادرة سانتا لوسيا:

خرجت من الفندق المريح في الواحدة والنصف، وطلبت من أهله أن يدعوا لي سائق أجرة يوصلني إلى المطار، فإذا به هو صاحبي اليوم، وقال: أنا (تاكسي) الفندق.

وخرجنا مع الشوارع الضيقة حتى قربنا من المطار؛ حيث وصلنا إلى شارع

واسع يتصل به، وحمل السائق حقيبتي حتى تسلمتها الموظفة المسؤولة في مكتب الترحيل.

وقال السائق وأنا أعطيه أجرته المحددة وهي ثمانية دولارات أمريكية: إن هذا مطار صغير، ولنا مطار أوسع منه.

ومكاتب الترحيل للشركة المعتادة لي في هذه الجزيرة، وهي شركة (ليات) التي تطيَر الطائرات الصغيرة المتوفرة بين هذه الجزر كل مكاتبها هنا خارج المبنى مما يلي المدينة في رواق مفتوح إلى الشارع.

وكرر أحدهم ما قاله لي السائق من أن الأمن مستتب في هذه البلاد.

وقد أسرعت الموظفة بوزن الحقيبة، ولم يتقاضوا رسم مغادرة المطار مني لأجل جوازي (الدبلوماسي)، وإلا فإني رأيتهم يتقاضونها من بقية الركاب، ويشددون على ذلك.

وحتى التفتيش من أجل الأمن عند دخول قاعة المغادرة الصغيرة كان شكلياً بالنسبة إليَّ، فلم يفتشوا الحقيبة اليدوية، ولا فتشوني بأيديهم بخلاف الركاب الآخرين الذين يفتشونهم، وذلك احتراماً لجوازي، لأنهم اطلعوا عليه عند الدخول للقاعة.

والغريب أنهم مثل غيرهم من أهل الجزر الكاريبية لا يختمون على الجواز عند المغادرة، وإنما يأخذون منه ورقة كانوا أعطوها المسافر عند القدوم يكتفون بذلك.

كما أنهم اعتادوا أن يعطوا المسافر استمارة القدوم إلى البلد الذي يسافر إليه مع بطاقة الصعود إلى الطائرة، وذلك من أجل أن يملأها وهو على الأرض قبل أن يسافر، وهذا مريح.

جلست في قاعة المغادرة الصغيرة، ولاحظت فيها اثنين أو ثلاثة من الخلاسيين، وهم المولودون فيما بين البيض والسود، مع أن عددهم يكون

قليلاً في العادة في المستعمرات البريطانية، وكثيراً في المستعمرات الفرنسية، وهذه ليست مستعمرة فرنسية، ولا أدري السبب.

وكنت تخيلت أن الفرنسيين والإسبان والبرتغاليين هم أكثر إنسانية، أو لنقل أقل تعصباً، أو أكثر تواضعاً من البريطانيين، وهذا ظاهر في مستعمرات هذه الدول في الوقت الحاضر.

وبينما كنا ننتظر الخروج للطائرة انهمر المطر مدراراً بحيث لم أشهد له مثيلاً في الكثرة والشدة منذ أن وصلت إلى هذه المنطقة، ومع ذلك لم يكفوا عن العمل في هذه الطائرات الصغيرة التي قامت واحدة منها قبل قيام طائرتنا إلى كاراكاس عاصمة فنزويلا التي هي غير بعيدة من هنا، وقد وضعوا أغطية من اللدائن على الأمتعة، ومثلها فوق رؤوسهم، والمطر يهطل مدراراً.

ونادوا علينا والمطر يهطل، فخرج الناس يركضون للطائرة الصغيرة التي تقف قريبة من المبنى، ولكن ماء المطر الموجود في الأرض كان أشق من المطر النازل.

وعجبت حين رأيت الطائرة صغيرة جداً، فهي أصغر من الطائرات المعتادة لي في هذه الرحلة التي تطيرها الشركة نفسها، فتلك تحمل ٢٨راكباً، وأما هذه فإنه ليس فيها إلا ١٨ مقعداً، وهي ضيقة بحيث أنني لم أستطع أن أجد مكاناً لحقيبتي اليدوية أمامي، فأخذوها إلى مكان الأمتعة في المكان الخلفي من الطائرة.

ومن الأشياء اللافتة للنظر في هذه الطائرة الصغيرة أنها كلها مليئة بالركاب وأن أكثرهم من السياح البيض، بخلاف السابق، في كون أكثر الركاب من السود، وأن قائدة الطائرة هي فتاة بيضاء متغيرة ومساعدها رجل أسود، والفتاة لونها لون العرب، والتغير سببه أنها مولودة – فيما يظهر- في هذه المنطقة. لذلك أثر عليها الطقس الحار الرطب فيها، وربما يكون سبب

ذلك مقاربة أمها أو جدتها لأحد من السمر لا السود؛ لأن اللون الأسود أغلب في الوراثة، ولا بد أن يكون أثره واضحاً إذا وجد.

ومع قرب جزيرة دومنيكا التي نقصدها من سانتا لوسيا فإن الطائرة سوف تنزل في مطار جزيرة المارتنيك قبل (دومنيكا).

جزيرة دومنيكا

تقع دومنيكا بين الجزيرتين الفرنسيتين قوادي لوب Guadeloupe ومارتينيك Martinique. ويجب عدم الخلط بينها وبين جمهورية الدومنيكان، فدومنيكا هي أكبر جزر الوند وارد Windward Islands، وتتألف من جزر بركانية في الأساس، تغطيها الجبال الشديدة الانحدار، والتي تغطيها الغابات الكثيفة، والجداول الباردة السريعة الجريان، التي تنحدر نحو البحر؛ حيث يمكن الاستحمام في مياهها العذبة التي لا يوجد لها مثيل في البحر الكاريبي.

ولم يتم تطوير جزيرة دومنيكا لتصبح محطة سياح عادية بها شمس ورمل وشواطئ بحرية؛ بل تعتبر هي الجزيرة الطبيعية من مجموعة جزر البحر الكاريبي، وأصبحت ذات شهرة بين محبي المناطق العذراء، وأولئك الذين يفضلون الجبال والغابات لقضاء عطلهم.

وقد ركزت الجزيرة على إيجاد محميات الغابات والمنتزهات العامة.

وتشمل عوامل الجذب الطبيعية في الجزيرة: البحيرات (واحدة منها بحيرة تغلي)، والشلالات، والجبال التي يصل ارتفاعها إلى ٤،٧٤٧ قدماً، وزخم ضخم من الحياة النباتية والحيوانية. وهناك حوالي ١٣٠ نوعاً من الطيور في الجزيرة منها، ببغاء سيسيرو sisserou parror المهدد بالانقراض، والذي موطنه جزيرة دومنيكا، وتجري حالياً المحافظة عليه، كما بدأ برنامج تعليمي في المنتزهات العامة.

وتحافظ جزيرة دومنيكا على أسلوب حياة البحر الكاريبي الأصيلة. فالسكن غالباً ما يكون بإدارة أسرة بشكل مريح، عوضاً عن فنادق المنتجعات السياحية، وتغلب الطبيعة الجبلية على أرضها حيث تكون المنازل في أسافل الجبال، وعلى شاطئ البحر، وتكثر فيها العيون والأنهار حتى قيل إن فيها من الأنهار ما يفوق عدد أيام السنة، أي ٣٦٥ نهراً، وقد رأيت بعضها ووصفته مما سوف تقرأه فيما بعد إن شاء الله.

ويبلغ عدد سكان (دومنيكا) (٧١,٨٠٠) نسمة، ومساحتها (٧٨٧) كيلو متر مربع.

أول من اكتشفها (كر يستوفر كولومبس)عام ١٤٩٣م

ومن انفراداتها بين جزر البحر الكاريبي أنها لا تزال توجد فيها بقية من السكان الأصلاء من (الكاريب) الذين يسميهم الأوربيون (هنود الكاريب)، وهم الذين نسب إليهم البحر الكاريبي، وقد انقرضوا من الجزر الأخرى ومحوا منها، إلا أن بقية منهم اعتصمت بجبال (دومنيكا) وبقيت فيها حتى الآن.

وقد تركهم المستعمرون الأوربيون بعد أن كانوا يتتبعونهم بسبب سلوكهم نحوهم،أي نحو الأوربيين، للقضاء عليهم حتى قال الأوربيون إنهم محاربون أشداء، وإنهم من الأوربيين بسبب انعزالهم في جبال الجزيرة.

ورغم ما ذكره الأوربيون عنهم من كونهم يأكلون ضحاياهم، فإن بقاياهم الآن يزعمون أن ذلك غير صحيح، وإنما هو حجة أوروبية لتبرير إبادة هذا الشعب الأصيل في المنطقة.

إلا أن بعض السياح الأوربيين أخذوا الآن يبحثون عن هؤلاء الكاريب لغرض آخر لا علاقة له بقتلهم والقضاء عليهم، وإنما للاطلاع على حياتهم، ومشاهدة فنونهم الشعبية، وذلك في رحلات متفق عليها معهم من أجل أن يستفيد الكاريب منها استفادة مادية، وفي الوقت نفسه يحاولون أن يمحوا من أذهان العالم الصورة التي رسمها المستعمرون عنهم من أنهم متوحشون يأكلون لحوم البشر، ولذلك أبادوهم، بعد أن كانوا هم أكثرية السكان في جزر البحر الكاريبي.

المسلمون في دومنيكا :

يتراوح عدد المسلمين هناك ما بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ مسلم، وكلهم من ذوي

الأصول الإفريقية الذين هم أكثرية السكان فيها، وكل المسلمين حدثاء عهد بالإسلام، لذلك لا غرابة أن يكون فهمهم للإسلام ناقصاً بسبب نقص المعلومات وقلة الدعاة، فبعضهم أسلم، ولكنه لا يعرف واجبات المسلم، بل إن بعضهم لا يعرف حتى أركان الإسلام، ولذلك وبسبب عادات لهم قديمة وأعمال تشغلهم قل عدد الذين يصلون في المسجد المؤقت الذي هو شقة تبرع أحد المسلمين بها للمسلمين يتخذونها مسجداً بصفة مؤقتة، أي أنها ليست وقفاً ناجزاً، ولا مسجداً كاملاً يتصرف به المسلمون كما يشاؤون.

بل هي شقة من مبنى يملكه رئس الجمعية الإسلامية في دومنيكا الأخ (محمد أخشباد) تقع في الطابق الثاني، ويأتي وصفها في اليوميات بإذن الله، وقد اشترت الجمعية الإسلامية في الجزيرة أرضاً تأمل أن تبني عليها مسجداً.

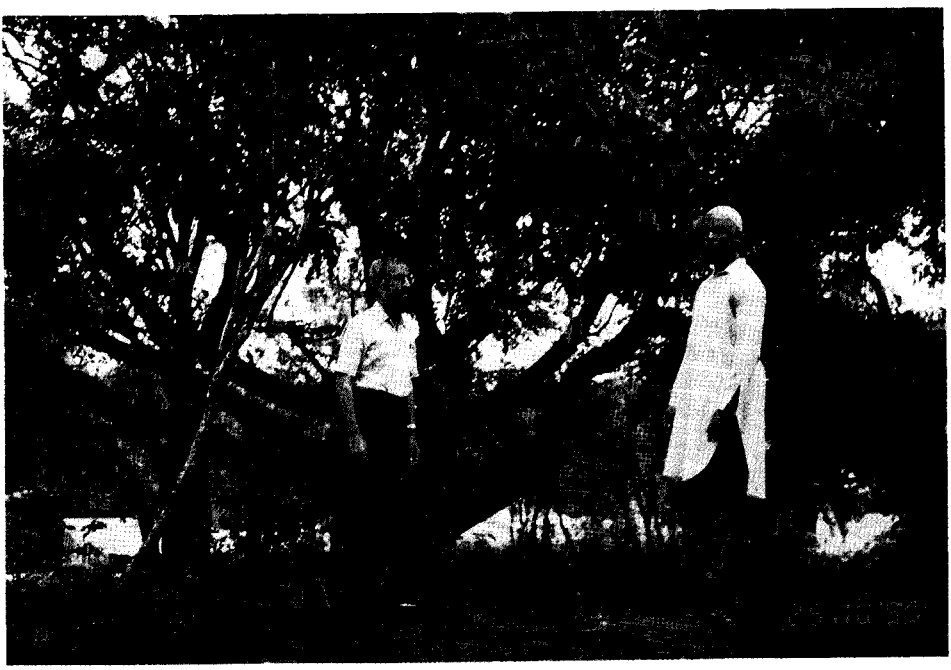

مع رئيس الجمعية الإسلامية في دومنيكا الأخ محمد أخشباد في أرض المسجد

وفي جزيرة دومنيكا كلية طب أمريكية الإنشاء والإدارة، لذلك

تعترف أكثر الجامعات و المؤسسات الثقافية بشهاداتها، يدرس فيها عدد من الطلبة المسلمين يقدر عددهم بأربعين طالباً، قابلت واحداً منهم من قطر.

وبعض الطلبة من باكستان والبلدان العربية جاؤوا إليها من الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة فيها. بل فيها خمسة مدرسين مسلمين، وهناك أرض اشترتها الجمعية تُزمع بناء مسجد عليها إذا وجدت المال اللازم لذلك.

ولا يزيد عدد سكان دومنيكا عن (٧٠) ألف نسمة، فهي أكبر مرتين من باربادوس، ولكن سكانها أقل أربع مرات منها.

ومساحة دومنيكا (٣٠٠) ميل مربع.

من سانتا لوسيا إلى دومنيكا:

قامت الطائرة الصغيرة من (سانتا لوسيا) قاصدة مطار المارتنيك في الطريق إلى جزيرة (دومنيكا) في الموعد المحدد لقيامها في الأصل دون تأخير، وهو الثالثة إلا الربع، والمطر يهطل، فكانت مروحتاها تمزق ماء المطر النازل فتحيلانه إلى خيوط فضية رائعة.

وليس في بطاقات الصعود إلى الطائرة أرقام للمقاعد، لذلك كنت أسرع في الدخول إلى الطائرة من أجل اختيار مقعد بجانب النافذة، وكان مقعدي هنا على النافذة في الصف الثاني من صفوف الركاب، وهو قريب من قيادة الطائرة؛ إذ ليس بينها وبين مقاعد الركاب حاجز.

وقد دارت الطائرة فوق قسم من جزيرة (سانتا لوسيا)، فرأيت بالقرب من شاطئها جزائر صغيرة خضراء هرمية الشكل لكونها أشبه ما تكون برأس الجبل الأخضر الناتئ من البحر.

كان الجو ملبداً بالسحب الاستوائية الكثيفة، غير أن جهة الغرب

كانت خالية، فتمتعت بمنظر قوس قزح بألوانه العديدة، وذلك عندما انعكست أشعة الشمس على سحابة ممطرة، فارتسم القوس على مطرها الهاطل.

وقد وصلنا بسرعة إلى جزيرة المارتنيك الكبيرة نسبياً في هذه المنطقة، وذلك عكس ما كان عليه الحال عندما وصلت إليها قبل أيام إذْ كان وصولي إليها ليلاً، ولذلك لم أبصر منها شيئاً من الطائرة، وأتيح لي ذلك الآن.

وقد صارت الطائرة تحلق فوق جبال المارتنيك الخضر التي كنت أسير فوقها بالسيارة عندما زرتها، ويتراكم سحاب كثيف كالجبال على جهة من جهاتها.

ويتقدم جزيرة المارتنيك من هذه الناحية جزيرة جبلية ضيقة واقفة، ولذلك كان قسم منها عارياً من النبات لأنه لا تستقر عليه تربة.

وبدت الجزيرة عندما انخفضت الطائرة واسعة كثيفة الخضرة مستطيلة الشكل نوع استطالة.

وذكرت هذه الصورة غير المنتظرة إليها التي عوضتني عما فات من رؤيتها من الطائرة في المرة السابقة.

وشاطئ المارتنيك أغلبه ضحل زمردي الماء، وهو أخوار - أي خلجان - جبلية تتناغم فيه ألوان الربى الخضر مع ألوان المياه البحرية الضحلة التي تتدرج حتى تصبح زرقاء عميقة.

وبين الربى الخضر بيوت جميلة بيض الطلاء، حمر السقوف، وفي الأراضي المنبسطة تمتد حقول قصب السكر الريانة.

وتحفل أرض الجزيرة القريبة من المطار بمناقع؛ بل مستنقعات مياه من مطر جَوْد أصابها أمس، ومن أجمل ما رأيته عندما قربنا من المطار جزيرة خضراء اللون غير عالية، أشبه ما تكون بالخيمة الخضراء في روضة من

رياض الصحراء المعشبة.

وزاد امتداد الجزيرة عندما اقتربت الطائرة من الأرض، فمساحتها تزيد على ألف كيلو متر مربع. وهذه مساحة يحسدها عليها أهل الجزر الكاريبية المجاورة التي هي أقل من ذلك. وطرقها الجميلة الواسعة تغص بالسيارات كثرة.

في مطار فورت دو فرانس:

و(فورت دو فرانس)هي عاصمة جزيرة المارتنيك.

كان هبوطها في الثالثة وثلاث دقائق ظهراً، ولم يستغرق الطيران من سانتا لوسيا إلى المارتنيك إلا ١٨ دقيقة. وقد استرعى انتباهي في المطار وجود أعداد كبيرة من الطائرات فيه؛ خلاف جزيرتي قرينادا وسانتا لوسيا، وذلك لكون المارتنيك أرضاً فرنسية، إذْ كان سكانها قد صوتوا على البقاء جزءاً من الأراضي الفرنسية فيما وراء البحار، ولم يشاؤوا الاستقلال بخلاف (سانت لوسيا) على سبيل المثال التي كانت مستعمرة بريطانية لم يطرح عليها المستعمرون البريطانيون الاتحاد مع بريطانيا كما فعلت فرنسا مع مستعمراتها السابقة التي منها جزيرة المارتنيك هذه.

ولم تنزل الطيارة - والمراد بها هذه المرأة التي تقود طائرتنا - ولا مساعدها الأسود من الطائرة.

وقد استرعى انتباهي في الطيارة أنها تلبس أساور في ساعديها، وتعلق أقراطاً في أذنيها، وهذا أكثر ما يميزها عمن يكون طياراً من الرجال حليقاً؛ لأن لباس الطيارين واحد، وذكرت بهذه المناسبة قول الشاعر العربي:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذُّيُول

والمراد بالذيول ذيول الملابس، وهو ما يصل الأرض منها تسحبه المرأة

خلفها إذا مشت. ولكن هذه الطيارة – المرأة - ليس لملابسها ذيول تسحب، وإنما شمرت عن ساعديها، ووضعت في صماخي أذنيها سماعتيها، وتقدمت الرجال تقود بهم هذا الطائر المعدني الذي رواحه شهر، وغدوه شهر.

وقد وضعت على كتفيها علامة الطيران التي يحملها الطيارون ومساعدوهم.

هذا وقد صحا الجو بسرعة، ولم يذكروا درجة الحرارة في المطار، وربما كان ذلك لرتابة الجو عندهم، وعدم اختلافه لأنه جو مداري أشبه بالاستوائي الرطب.

ومن الطريف أن المرأة الطيارة هي التي ترحب بالركاب؛ لأنه لا توجد في الطائرة مضيفة لصغرها، فتتكلم وهي جالسة في مقعد القيادة ببعض البيانات المتعلقة بالرحلة، وقد بدأت كلامها بقولها: الكابتن – أي القائد – يتكلم، ولو كان في الإنكليزية فرق بين كلمة القائد والقائدة لذكرت أنها قائدة أو لنقل طيَّارة، لأن الطيارة التي تطير غير الطيارة التي تقودها بالإنكليزية بخلاف العربية.

وقد تكلمت بلهجة إنكليزية فصيحة.

إلى جزيرة دومنيكا:

جزيرة دومنيكا – كما قلنا - تشكل الآن دولة مستقلة، وكانت مستعمرة إنكليزية واقعة بين المستعمرات الفرنسية من هذه الجزر التي اختارت البقاء مع فرنسا، وقد زرت منها المارتنيك، وسوف أزور (قوادي لوب) بعد ذلك، ثم سان مارتن بإذن الله.

أقلعت الطائرة قاصدة جزيرة (دومنيكا) في الثالثة والدقيقة الثامنة والعشرين بعد أن لبثت في هذا المطار ٢٥ دقيقة، ذهب جزء منها في الوقوف في رأس المدرج انتظاراً لطائرة ستقلع قبلها.

وقد حلقت فوق البحر، ثم انعطفت محلقة وهي ترتفع فوق جبال المارتنيك العالية، وأسرعت بالاتجاه شمالاً حيث موقع جزيرة دومنيكا، وهي ترتفع بسرعة ربما لتلافي المرور في قلب سحابة تمطر في خط سيرها.

كان مقعدي قرب غرفة القيادة التي ليس بينها وبينه حاجز، فرأيت القائدة توجه مساعدها ببعض الأشياء المتعلقة بالطيران، وربما كان حديث عهد بمهنته.

وعندما رأيت مجلس الرجل بجانب القائدة، ذكرت أنني ركبت كثيراً خلال أيام عشرة في تنزانيا في مثل هذا المقعد، وذلك أننا كنا وفداً رسمياً إلى تنزانيا، فوضعت الحكومة التنزانية تحت تصرفنا طائرة صغيرة مروحية ذات محركين مثل هذه، ولكن لم يكن فيها إلا الطيار من دون مساعد، فصرت أجلس بجانبه في جميع جولاتنا في مدن تنزانيا وأنحائها، وذلك من أجل الاطلاع أكثر من هذا المقعد. وإن كنت لا أغني شيئاً عن أهل الطيارة فيما لو حدث مكروه للقائد؛ لأنني لا أفقه شيئاً في قيادة الطائرات، وقد ذكرت ذلك كله في كتاب: « صلة الحديث عن إفريقية » المطبوع.

كما ذكرت رحلات أخرى كانت لي على طائرات صغيرة ليس فيها إلا الطيار من دون مساعد، وذلك في مدغشقر وبعض جزر المحيط الهادئ الجنوبي.

هذا وقد لججت الطائرة في جواء البحر الكاريبي، واعترضتها غيمة فمزقتها بمروحتيها.

والغريب أن جو البحر الآن يكاد يخلو من السحاب، وعندما قربنا من جزيرة دومنيكا رأينا السحاب مرتكماً كالجبال، وربما كان سبب ذلك أن الجزيرة ذات جبال عالية تمسك ببخار الماء الذي يتكثف على هيئة سحاب.

ولم يطل الطيران حتى رأينا جزيرة دومنيكا على البعد، وذلك بعد أن أمضينا ١٥ دقيقة من الطيران. ثم وصلناها بعد ١٨ دقيقة، فصرنا نطير فوق

جبالها العالية المجللة بالغابات، وهي جبال ليس فيها منازل، وإنما شاهدنا المنازل في الوديان بينها. مع أن السكان في الجزيرة قليلو العدد بالنسبة إلى مساحتها، كما تقدم.

فهي أكبر من جزيرة باربادوس التي يزيد عدد سكانها قليلاً على مائتي ألف نسمة.

وقد تركتها الطيارة - المرأة — جهة اليمين محلقة جهة مهب الشمال، فصارت تطير على البحر محاذية لطرف الجزيرة.

وتمتعنا بمشاهدة الجزيرة، وبخاصة عاصمتها (روزو) وبقربها الميناء، كما شاهدنا المنازل على الشواطئ من دون عمق إلى الداخل لأن الأرض جبلية.

في مطار كين فيلد:

انعطفت الطيارة بطائرتها جهة اليمين إلى المطار، وهو بجانب شاطئ صخري واقف يقع موقعا ضيقاً بينه وبين البحر مما يجعل الراكب يشفق من ألا تستطيع الطائرة أن تجد لها ممراً بينهما، وشاهدت المنازل في الريف القريب من المطار ذات سقوف من الصفيح الرديء، وهيئات غير بهيجة.

وهبطت في الثالثة والدقيقة السابعة والثلاثين بعد طيران استغرق ٢٩ دقيقة.

والجو صاح بل شامس إلا أنهم لم يذكروا درجة الحرارة في المطار على عادتهم المعهودة، إلا أن الجو كان رطباً رطوبة ثقيلة.

ويسمى هذا المطار الذي نزلنا فيه مطار (كين فيلد)، وترجمته الحرفية حقل السكر، وذلك لوجود حقول لقصب السكر كانت تزرع فيه، وقد كتبوا اسمه على التذكرة هكذا (كين فيلد) ولم يذكروا دومنيكا.

وقد أصبح ما حول هذا المطار قرية سميت (كين فيلد).

توقف ضابط الجوازات قبل أن يسألني عن الغرض من مجيئي أهو للسياحة أم في مهمة رسمية للحكومة ؟ فقلت: للسياحة، فأسرع يختم الجواز، ولم أكن حصلت على سمة دخول مسبقة لهذه البلاد، وكذلك ضابط الجمرك سألني لأول مرة عما إذا كانت توجد في حقيبتي بضاعة تستحق أن يدفع عليها رسوم، فأخبرته بأنني لا أحمل بضاعة من هذا النوع، وهذا صحيح.

وخرجت من باب القاعة التي فيها الجوازات والجمرك، فإذا بي على رصيف الشارع، ووجدت رئيس الجمعية الإسلامية الأخ (محمد أخشباد عبدالله) ينتظرني، وكان أهل قرينادا قد أخبروه بموعد قدومي.

وحملني بسيارة له جديدة قوية من صنع ياباني لا يملكها إلا الأثرياء .

مدينة روزو:

و(روزو) هي عاصمة جزيرة دومنيكا، سرنا إليها مع طريق ضيق خطر لأنه واقع بين جبل واقف وبحر منخفض، وقد أكل البحر جزءاً من الطريق، ولم يستطيعوا الأخذ من الجبل، ولا بناء ما أخذه البحر منه فصار ضيقاً مخيفاً.

ولذلك رأينا سيارة نقل كبيرة واقعة في البحر، وقال الأخ محمد أخشباد: هذا حادث جديد، لأنني عندما خرجت للمطار قبل قليل لم أره.

نزلت في فندق في مدينة (روزو) اختاره لي الأخ أخشباد لكونه غير بعيد عن المصلى الذي يستعمله المسلمون للصلاة وبخاصة صلاة الجمعة، وهو في وسط المدينة، وإن كان واقعاً على شاطئ البحر .

وتأملت العاصمة من نافذة الفندق الذي نزلت فيه، وهي تشرف عليها إشرافاً كاملاً من إحدى الجهات، فرأيت شوارعها غير واسعة، وهذه سمة أكثر المدن – إن لم تكن كلها – في هذه الجزر الكاريبية التي زرتها حتى

الآن، ولكن الشوارع مزفتة ومرصفة، أي ذات أرصفة، إلا أن الذي يشينها أن المياه المستعملة قد صنعوا لها مجرى أسفل البيوت تسير فيه مكشوفة، ولكن أكثرها نظفت الآن؛ لأن مياه الأمطار تجري معها إلى البحر فتأخذ ما فيها وتنظفها، وهذه طريقة شائعة في البلدان الاستوائية المطيرة. والمشكلة فيما إذا تأخر المطر، فإن أكثر هذه المجاري تركد فيها الفضلات، فتصير مؤذية بمنظرها ورائحتها.

صورة لجزء من بلدة روزو مأخوذة من نافذة الفندق

ودفعت أجرة الفندق مقدمة لليلة واحدة ١٠٣ دولارات أمريكية، وقد وجدته لا يستحق ذلك، ولم أجد في الغرفة ثلاجة، وقالت رئيسة عمال الطابق وهي سوداء مترهلة: لا يوجد ثلاجة، ولكن نحضر لك ثلجاً، وأحضرت ثلجاً بالفعل، ولكنه ذاب بعد قليل.

وحول نظافة الماء الذي في صنبور الحمام قالت: يمكنك أن تشرب منه، فقلت: ألا يوجد فيه ما يخشى منه الضرر؟ فقالت: أنا أشرب منه. فقلت لها:

هذا لا يزكيه عندي، وتركته لم أشرب منه أبداً، وإنما طلبت ماءً معدنياً، وصنعت شاياً خفيفاً بنفسي منشطاً وقاطعاً للعطش.

وقد انتهزت فرصة نور الشمس فالتقطت صوراً لوسط المدينة الذي فيه فندقي من نافذة الدور الرابع.

المؤلف في أحد الشوارع الرئيسية في روزو عاصمة دومينيكا

وتفتح نافذة الفندق وهي عريضة واسعة على شارع الشاطئ وبعده البحر الذي لا منظر غيره، وتمنيت أنني في غرفة تفتح نافذتها على المدينة أو على الجبال، ولكنهم لم يعرفوا ذلك، فاختاروا هذه التي تطل على البحر الذي لا منظر جديد فيه غير أنني أشرفت على المدينة في الجهة المقابلة من ممر في الفندق.

وقد نزل المطر بكثافة، واستمر فترة وهو يجود هذه البلاد الرَّيَّانة، ومع ذلك لم يزد الجو برداً في الغرفة التي فيها مكيف.

وتذكرت أنه لولا لطف الله بأهل المناطق الاستوائية والمدارية الذي ينزل عليهم المطر بغزارة لم يطيقوا السكنى في هذه البلاد؛ لأن أشعة الشمس تنزل عليها عمودية، أي نزولاً مباشراً فتضر بهم، ولذلك يزداد الجو حراً إذا تأخر عنهم المطر، ولكنه قلما يتأخر.

في المسجد:

كان رئيس الجمعية الإسلامية الأخ الحاج محمد أخشباد عبد الله قد أخبرني أنه سيمر بي في الساعة السادسة من أجل أن نحضر صلاة المغرب في المسجد مع المسلمين، وكنت طلبت منه أن يجمعهم لي حتى أراهم وأتحدث إليهم، ولكن لم يحضر أحد في الموعد المذكور، وفي السادسة والنصف حضر أخ مسلم حديث الإسلام مثل أكثر المسلمين في هذه الجزيرة، وعلى رأسه طاقية مخططة مثل التي يلبسها أهالي شرق إفريقية. فحملني بسيارته واسمه (بلال وليم) لم يغير من اسمه إلا أنه أضاف إليه اسم (بلال)، وهو جدير باسم (بلال) لأنه إفريقي الأصل والمظهر مثل سائر الناس في هذه الجزر.

وجدت المسجد في شقة في الطابق الثاني من بناء ذي طابقين قد جعلوا إحدى غرفها مصلىً أي مسجداً، ويتبعها حمامات يستعملها من يريد الوضوء إلى جانب العاملين في مكتب في الطابق نفسه.

وأخبروني أن هذا المصلى ليس تابعاً للجمعية الإسلامية ولا غيرها، ولكنه تبرع من أحد الأشخاص قدمه ليصلي فيه المسلمون من دون أجرة له، واشترط عليهم أنه إذا احتاج للمكان استعاده. ولم يكن المسلمون هنا من القوة بالدرجة التي يستطيعون فيها أن يستغنوا عن هذا المصلى الذي جاءهم من دون أجر.

وذكروا أن الشخص المتبرع بهذا المصلى تبرعاً مؤقتاً بمعنى أنه أباح لهم أن يصلوا فيه، ولم يتبرع بعين المكان، لا يريد أن يعرف الناس اسمه، لأنه

عمل هذا لوجه الله.

صورة تذكارية في مسجد روزو، على يساري رئيس الجمعية الإسلامية في دومينيكا محمد عبد الله أخشباد، ويميني أحد المسلمين الجدد من أهل البلاد

وقد عرفت بعد ذلك أن المكان ملك للأخ الحاج محمد أخشباد رئيس الجمعية الإسلامية، وأنه هو الذي جعله مصلى مؤقتاً.

بعد قليل حضر الحاج محمد أخشباد وهو خلاسي اللون، ولكن واضح أنه إفريقي الأصل، ذكر لي أنه أول من أسلم من أهل هذه البلاد الأصلاء فيها، وأن إسلامه كان قبل ٢٠ سنة، وأن اسمه الآن محمد أخشباد عبد الله، وأن والده مسيحي أصله من ترينداد؛ غير أنه – أي الحاج محمد أخشباد – وُلد في هذه الجزيرة، وذهب إلى ترينداد للدراسة هناك، فاجتمع مع الطلبة المسلمين الذين دعوه إلى الإسلام فأسلم.

وهو الآن رئيس الجمعية الإسلامية، وقد أسسوا الجمعية الإسلامية قبل سنتين فقط .

وقد طلبت منه أن يجمع لي أعضاء الجمعية الإسلامية والمسؤولين فيها فوعدني بذلك، ولكنه لم يفعل، فلم أقابل منهم أحداً إلا رجلين وامرأة غيره، ورأيته يكره أن أتحدث عن اجتماعي بالمسلمين ولا أدري أذلك لقلة المسلمين المنضمين إلى جمعيته، أم لكونه لا يريد أن تكون الاتصالات مع غيره .

وقد حضر إلى المسجد أخ مسلم حديث الإسلام أيضاً صار نافعاً لي لأنه صحبني في الجولة السياحية في الجزيرة، ووجدته صائب الرأي، ذا ثقافة عامة جيدة، واسمه (لورانس ونسدل)، فهو لم يغير اسمه بعد إسلامه، وقد أسلم قبل سنة واحدة .

وقد جلسنا جلسة مفيدة مع هؤلاء الأخوة المسلمين الثلاثة، وكلهم يعتبرون من المسلمين الجدد لكون آبائهم من غير المسلمين، وقد بحثت معهم في كل الأمور التي أود معرفتها عن المسلمين في البلاد. إلا أن الذي كدر علي صفاء الجلسة هو أنني لم أستطع أن أتعرف على غير هؤلاء الثلاثة. وقال الأخ محمد أخشباد: لقد منع المطر الغزير بقية المسلمين من الحضور للمسجد، ولم أقتنع بذلك؛ لأن المرء إذا كان عنده موعد مهم لم يمنعه المطر من الذهاب إليه، وبخاصة من لديه سيارة .

وقد أخبروني أنهم اشتروا أرضاً في المدينة ليقيموا عليها المسجد، وأنهم سوف يرونني إياها فيما بعد، وقد سجلوها باسمهم، ولا يمنعهم من بناء المسجد إلا عدم النفقة اللازمة لذلك .

ثم حان وقت صلاة العشاء، فصليت المغرب قبلها جمع تأخير، ثم صليت العشاء معهم، وقد أمنا الأخ محمد أخشباد رئيس الجمعية بعد أن اعتذرت عن إمامتهم .

وقد قرأ قراءة متقنة؛ إلا أن إخراج الحروف الحلقية من مخارجها

الصحيحة يصعب عليه، وذلك لعدم مرانه على النطق بها .

وقد قرأ من وسط المصحف من حفظه، وهذا يدل على أنه يحفظ قدراً من القرآن الكريم عن ظهر قلب .

لقد قلت للأخ رئيس الجمعية: إن أحد العرب السوريين المسيحيين أخبرني أنه يعرف مسلماً كبيراً من أهل البلاد يعرف في دومنيكا بالحاج، وأنه يساعده ويحسن معاملته لمعرفته أنه سوري، وظنه أن السوريين كلهم مسلمون، فضحك كثيراً وقال: إنه يقصدني، فأنا الحاج ولا يوجد غيري من يحمل هذا اللقب من السكان الأصلاء، ثم أخبرني بقصة حجه، فكان مما قاله: لقد حججت دون أن يستضيفني أحد لأن الله سبحانه وتعالى قد وسع علي، فأنا صاحب محل تجاري كبير أسفل من المصلى هذا، وسوف تراه غداً.

وبعد جلسة طويلة في المسجد ودعت القوم وحملني الأخ لورنس للفندق، فاتفقت معه على أن يمر بي في الفندق الساعة الثامنة من صباح غد لنبدأ الجولة في الجزيرة .

يوم الأربعاء : ١٩٩٥/١٠/٢٥م .

صباح دومنيكا :

استيقظت فجراً فكان ما لم تسفر منه النافذة بحراً هائجاً متلاطم الأمواج، إلا أنهم أقاموا على الشاطئ حواجز من صخور ضخمة لتقيه من الانجراف، ومن أجل أن تتكسر عليها فلا تصل إلى شوارع المدينة رغم كونها في مكان مرتفع، ورغم وجود جدار حجري ما بين المدينة والبحر .

ومن الغريب أنني رأيت طوائف من الناس ما بين رجال ونساء يركضون أو يهرولون وهم في ملابس الرياضة في هذا الوقت الذي لم يسفر فجره بعد، وما يزال ظلامه هو المسيطر .

وكل الذين تقع عليهم العين هنا أسود اللون لا يختلف في اللون عن أهل إفريقية بشيء.

وذهبت لمطعم الفندق لتناول طعام الإفطار فأخبرتني العاملة أنهم لم يخبروهم بفطور لي بخلاف بعض سكان الغرف الأخرى، فإنهم قد أعدوا لهم الإفطار. فسألت امرأة في الإدارة فقالت: ليست أجرة غرفتك مشتملة على طعام الإفطار .

جولة في مدينة روزو :

حضر إليَّ الأخ المسلم الجديد (لورنس ونسدل) بسيارته التي يقودها بنفسه، وقد وضع على رأسه قلنسوة تشير بعرفهم إلى أنه مسلم .

وانطلقنا في الثامنة في جولة في مدينة (روزو) العاصمة، فكانت أولى الوقفات في ميدان صغير قريب من الفندق الذي أسكن فيه، ويسمونه (ميدان تذكار الحربين العالميتين)، ومع أن هذه الجزيرة واقعة في مكان نائ عن مسارح الحربين العالميتين فإنها شاركت بأعداد من أبنائها في الحرب، قتل

بعضهم، وذلك تحت راية المستعمرين البريطانيين، ودون أن تكون لأهلها إرادة في إشعال الحرب أو إطفائها .

وقد نقشوا أسماء المواطنين من أهل هذه الجزيرة الذين قتلوا في الحربين المذكورتين .مع أن سكان الجزيرة قلة ضئيلة بالنسبة لما تحتاج إليه الحرب من وقود بشري، فهم في الوقت الحالي ٧٠ ألفاً كما قدمت، ولا شك أنهم كانوا في زمن الحربين العالميتين أقل من ذلك .

وسكان مدينة (روزو) العاصمة لا يزيدون على ٢٠ ألف نسمة .

ويقع على هذا الميدان المهم مبنى المحكمة العليا، وهو أحمر الطلاء صغير، كما يقع عليه مبنى إدارة البريد والهاتف .

وشوارع المدينة ضيقة، ولكنها على ضيقها أوسع من شوارع مدينة (كاستروس) عاصمة سانتا لوسيا. وقد وقفنا في شارع رئيسي فيها ضيق، ولكنه ممتد يسمونه (كندي أفنيو) أي شارع كندي الذي كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وتغلق هذا الشارع تلة جبلية خضراء من التلال التي تشرف على المدينة، بل ومن التلال الجبلية تشرف على شواطئ الجزيرة كلها، والعاصمة على الشاطئ كما تقدم .

وللقوم علاقات جيدة بالولايات المتحدة الأمريكية، فطائفة من أهل الجزيرة يعملون هناك، وهنا كلية طبية مهمة في الجزيرة تعتبر فرعاً لإحدى الكليات الطبية الأمريكية .

والشارع ضيق تتلاقى فيه السيارتان إذا لم تكن توجد سيارة واقفة. وظني أن عرضه لا يزيد على ستة أمتار .

من فوائد قلة السكان :

كنت أعلق مصورتي بيدي وأنا أسير في شوارع هذه المدينة. ولكن في ذهني حوادث لاختطاف المصورات وغيرها في بعض البلدان. فسألت الأخ لورنس

عما إذا كان هناك خوف من أن ينتهب لص مصورتي ويذهب بها، فضحك وقال: الناس هنا يعرف بعضهم بعضاً، فأنا – مثلاً - أعرف كل سكان المدينة، واللص فيها معروف لا يخفى على أحد، ولذلك الأمن مستتب ولا خوف من السرقة أو الانتهاب.

وعلى جانبي (الأفنيو) هذا مجاري المياه المستعملة، ولكنها مبلطة بالإسمنت، ولا يركد فيها الماء لارتفاع المدينة عن سطح البحر إذْ تنصرف المياه إليه.

وتقع (دار الثقافة) على هذا الشارع، كما يقع عليه مبنى مهم وهو بالنسبة إلى المباني عندنا يعتبر مبنى صغيراً، وهو مجمع للوزارات مؤلف من عدة طبقات.

نبات الروزو:

المؤلف عند نبات (الروزو) الذي سميت عاصمة دومينيكا على اسمه

سألتهم أول ما وصلت عن معنى تسمية عاصمتهم (روزو)، فأخبروني أن

ذلك على اسم نبات عندهم يقال له الروزو ، يشبه قصب السكر شبهاً كثيراً حتى يسميه بعضهم بالسكر البري مع أنه ليس فيه أي شيء يصلح أن يؤكل أو يشرب .

ذكروا أن المستعمرين الأوربيين، وأظنهم قالوا: إنهم البرتغاليون، أسرعوا ينزلون من سفنهم عندما رأوه كثيراً ملتفاً ، وهم يحسبونه قصب السكر ولكن خاب ظنهم، إلا أن المكان سمي باسمه. فالمدينة هي (روزو) والنهر الذي على المدينة اسمه نهر (روزو).

أنهار بعدد أيام السنة :

اشتهرت جزيرة دومنيكا بأن فيها أنهاراً ما بين صغير وكبير بعدد أيام السنة ، فهي تزيد قليلاً على ٣٦٠ نهراً ، وهذا شيء تنفرد به دون سائر بقاع الأرض، إذْ لا توجد بقعة من الأرض في مثل مساحتها فيها هذا العدد من الأنهار والنهيرات، و ذلك لكونها جبلية تمسك جبالها بخار الماء الذي يتصاعد من البحر في هذه المنطقة المدارية الحارة، فيسقط مطراً على الجبال التي ترسله على هيئة أنهار أو نهيرات تعود مرة ثانية إلى البحر .

ونهر(روزو) سريع الجرية إلا أنه ضيق عند مسامتته للمدينة، ولكنه يتسع عند مصبه في البحر كما سيأتي .

هنا أرسى كولومبس :

والمراد به كريستوفر كولومبس مكتشف العالم الجديد باسم ملك وملكة إسبانيا ، وقل أن توجد جزيرة من جزر الكاريبي لم يضع فيها قدمه ، لأنه ظل يتجول في الجزر في رحلاته التي تكررت إلى هذه المنطقة .

وكان إرساؤه في ميناء هذه الجزيرة عام ١٤٩٢ م .

وتاريخ إرساء كولومبس في أكثر هذه الجزر ذو أهمية خاصة ، لأن

أكثرها يبدأ تاريخه المدوّن بوصول كولومبس، وذلك لقلة السكان فيها قبل وصوله، وكونهم لا يدونون تاريخاً لهم مكتوباً .

وبالنسبة إلى تفطن هذه الجزر في الوقت الحاضر لكولومبس فإن تاريخ وصول كولومبس إليها ذو أهمية خاصة، لأنهم لم يكونوا ليستوطنوها لولا ذلك. فبسبب اكتشاف كولومبس لها، ثم استعمارها واستغلالها من المستعمرين الأوربيين جلب هؤلاء الأفارقة إليها، ولولا ذلك لم يوجدوا فيها .

شارع النهر:

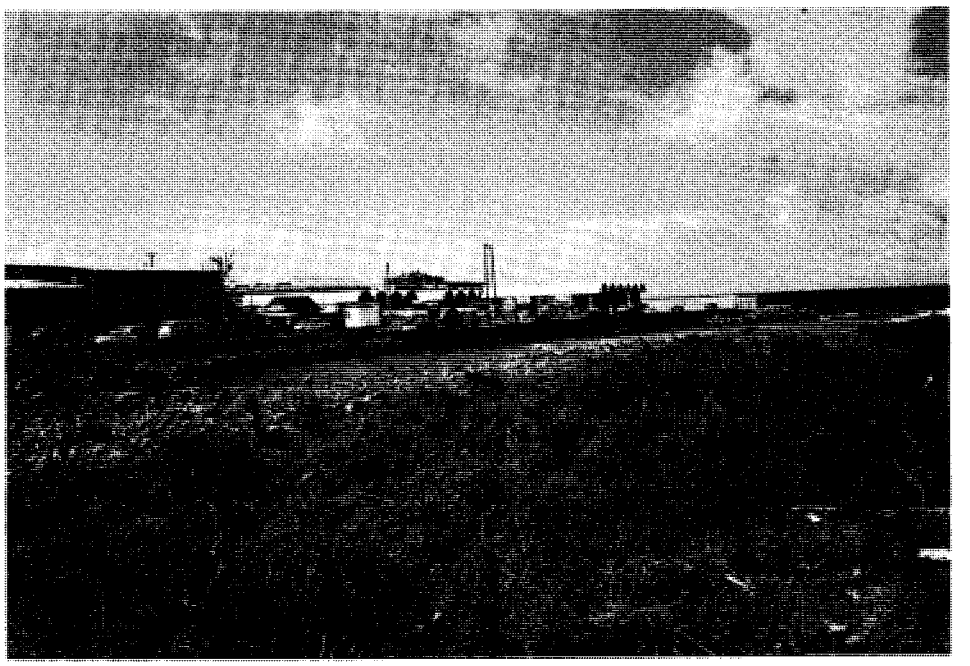

نهر روزو عند مصبه في البحر

يماشي نهر روزو مما يلي قلب المدينة شارع طويل نسبياً أسموه شارع النهر (ريفر استريت) .

وهو مزفت تزفيتاً جيداً، وقد جعلوا وسط الشارع مرتفعاً من أجل أن

تنزلق عنه الأمطار إلى جانبيه اللذين فيهما مجريان للمياه المستعملة أيضاً.

أما البيوت على هذا الشارع، فإنها من طابق واحد أو طابقين لا تزيد على ذلك، بعضها من لبن الإسمنت، وبعضها من الصفيح. وأما السكان فيه فإنهم كما في سائر المدينة من السود ذوي الأصول الإفريقية، ولا يرى المرء فيهم أسمر فضلاً عن الأبيض، وحتى الخلاسيون وهم نوو الألوان التي تكون بين البياض والسواد، أو يكون أهلها من المولودين ما بين البيض والسود، فإنهم لا يكادون يوجدون هنا، وذلك لكونها مستعمرة بريطانية، والبريطانيون من أقل المستعمرين مخالطة للسود، إضافة إلى قلتهم العددية في البلاد لاتساع مستعمراتهم في أنحاء الأرض في زمن الاستعمار.

وداء الحفر والصدوع القليلة في زفت الشارع موجود هنا، وإنْ كان أقل مما عليه الحال في شوارع سانتا لوسيا.

عند مصب النهر:

سرنا قليلاً في شارع النهر، حتى وصلنا إلى جسر ضيق على النهر لا يتسع إلا لمرور سيارة واحدة، فقطعناه إلى الضفة اليمنى منه حيث شاهدت مصب نهر (روزو) في البحر.

والنهر عند المصب عريض إلا أن مياهه تغدو شحيحة، فاستجليت منظره وصوّرته ورأيته مهملاً، ولو كان عند قوم لهم من رفاهية العيش واتساع المال، وتقدير الجمال غير ما لهؤلاء، لجملوا مصب النهر هذا في البحر، وأقاموا عليه المنتزهات والمقاصف.

وقد وقف بسيارته عند محطة للوقود اشترى منها الجالون الإنجليزي بسبعة دولارات من دولارات البحر الكاريبي، ويساوي ذلك دولارين ونصفاً من الدولارات الأمريكية. وهذا سعر معتدل نسبياً لكونهم يستوردون الوقود من فنزويلا غير البعيدة منهم.

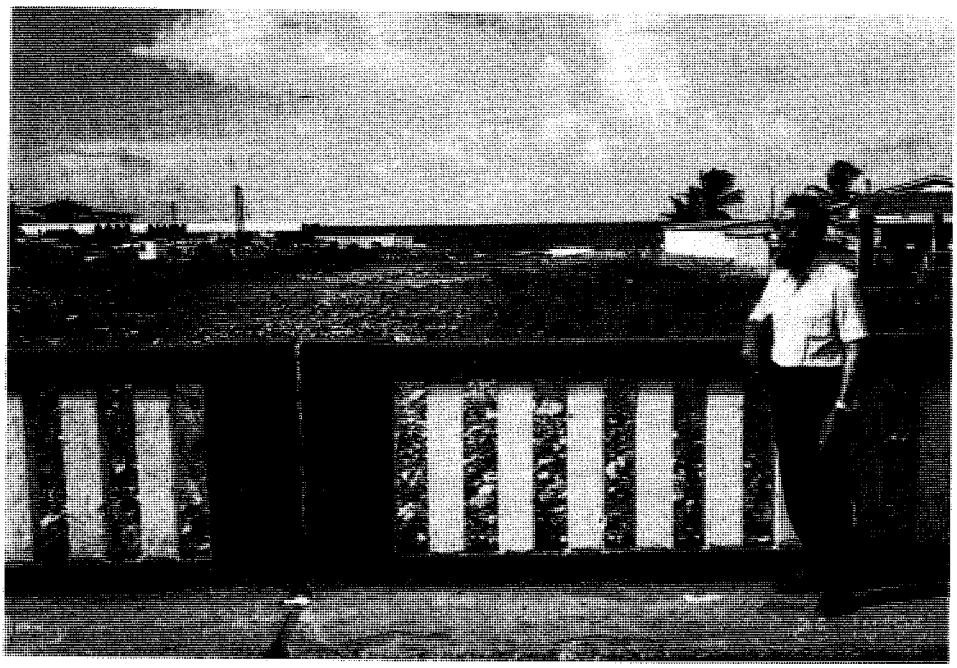

المؤلف على الجسر المقام على نهر روزو في دومينيكا

بلاد الجبال:

بعض البلاد اشتهرت بأنها بلاد الجبال مثل مملكة نيبال، ولذلك جعلت عنوان كتابي الذي كتبته عنها: « في نيبال بلاد الجبال »، وجبالها من الجبال الوعرة من سلسلة الهملايا التي تغطي رؤوسها وأكتافها الثلوج، ويرى ذلك واضحاً من العاصمة (كتمندو)، وهو كتاب مطبوع.

وبلاد أخرى زرتها وذكرت زيارتي لها في كتاب: « يوميات آسيا الوسطى » المطبوع أيضاً، وهي جمهورية تاجكستان التي تغطي الجبال ٩٧٪ من سطحها.

وهذه معروفة مشهورة بذلك، أما هذه الجزيرة فإن الجبال تغطي ٩٠٪ من سطحها. وهذا له فوائد وفيه مضار. من مضاره صعوبة شق الطرق

وصيانتها، وصعوبة زراعة الزراعات الحقلية كالأرز فيها.

المؤلف في ريف دومينيكا

ولذلك كان على من يريد الجولة في الجزيرة مثلنا أن يسير على ذلك الشريط الضيق ما بين البحر والجبال. وهكذا كان فقد خرجنا نباري شاطئ البحر على يسارنا، والجبال العالية وبين يديها تلال خضر أقل علواً على أيماننا.

فوقفنا قرب الميناء الذي يقع أمامه جبل أخضر ترصع خضرته منازل متفرقة بيض الألوان، واسم الجبل (فوند كولي) ذكروا أنه اسم فرنسي.

وكان الفرنسيون قد حكموا جزءاً من دومنيكا لبعض الوقت لكونها واقعة بين جزر كانت تستعمرها فرنسا، ومنها جزيرة (قوادي لوب) التي سوف أزورها إن شاء الله بعد انتهاء الزيارة من دومنيكا.

ولمناسبة وجود الميناء سألت الأخ لورنس، وكنت سألت أحد الأخوة

البارحة عن الإدارة الحكومية في الوقت الحاضر، وهل هي أحسن مما كانت عليه زمن الاستعمار ؟ فكلهم أجاب أنها الآن أحسن، وإن عامة الشعب يتمتعون الآن بما يمكنهم من الوظائف وغيرها؛ إلا أن المشكلة تكمن في نقص الموارد، فالدولة تعتمد في دخلها على الضرائب والرسوم، ولذلك سألوني البارحة في المطار عما إذا كنت أحمل بعض البضائع التي عليها مكوس (جمارك).

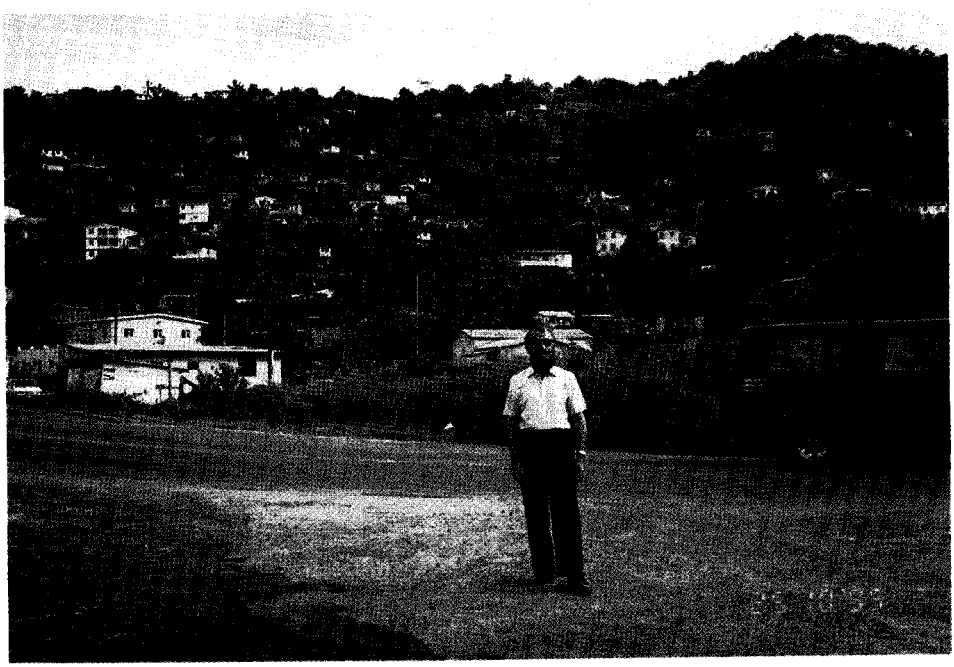

الجبل الأخضر الذي ترصعه المنازل البيض ويشرف على ميناء في منطقة فونو لوكي في دومينيكا والمؤلف مستقبلاً الميناء

سوق الخضرات:

وقفنا عند سوق في حاشية المدينة اسمه (روزو ماركت)، يعني سوق روزو، أكثر الباعة في هذا السوق من النساء كعادة الإفريقيات في ممارسة التجارة القليلة مثل تجارة الفاكهة والخضار هذه التي في هذا السوق؛ لأنه

مخصص لذلك.

ورأيت أكثر الفاكهة والخضرات الموجودة فيه ليست مما هو موجود عندنا وعلى رأس ذلك ما يسمونه (داشين)، وقد رأيته لأول مرة، أو أنني فطنت له أول مرة هنا، وذلك لكونه يشبه في مظهره مظهر اليام الذي وصفته فيما سبق، فهو كتل غير متساوية تنمو تحت الأرض كما ينمو البطاطس إلا أنه كبير، وعليه قشر أدهم اللون خشن.

ذكروا أنهم هنا يصنعون منه العصيدة التي يتخذها بعضهم وجبة خفيفة، وكنت أكلته مطبوخاً مثلما يصنع بالبطاطس الصليق.

وفي هذا السوق فاكهة معروفة لنا، ولكنها ذات شكل آخر مثل (القريب فروت) أو الليمون، ونوع آخر من الفاكهة يشبه البيض لم أعرفه؛ رغم كوني زرت أنحاء العالم كله. وبرتقال استوائي أخضر صلد القشرة، وزنجبيل طري.

وأما الموز فإنه سيد الفاكهة المعروفة في السوق كثرة وتنوعاً، فمنه الأخضر الذي يطبخ أو يقلى، والأصفر المعتاد الذي يؤكل طازجاً، وهو عدة أنواع، وكلها رخيص، حتى إنني اشتريت بدولارهم عنقوداً يقارب وزنه الكيلو بدولار واحد من دولاراتهم أي حوالي الريال والنصف، فأكلت منه أنا والأخ المرافق ما سد جوعنا حتى عدنا إلى المدينة.

وهناك (اليام) وهو كثير جداً في هذا السوق، وهو يشبه (الداشين) إلا أنه أكثر انتشاراً في العالم، وهو غذاء منتشر في البلدان الاستوائية والمدارية على مدار الأرض؛ حيث رأيته شائعاً وقديم الاستعمال في جزر فيجي في جنوب المحيط الهادئ وفي إفريقية.

والغريب العجيب الذي كثر عجبي منه أنني رأيتهم يبيعون الطماطم غالية الثمن نزرة المقدار، فيجمعون الحبات الثلاث أو الأربع منها يكومونها كومة صغيرة ويبيعونها جزافاً. وأردت أن أعرف سعرها بالضبط فسألت

البائعة عن ذلك فقالت: نحن نبيعها هكذا دون وزن، وهنا سألها الأخ المرافق عن الرطل فذكرت أنها تبيع الرطل من الطماطم بسبعة دولارات من دولاراتهم، وذلك يساوي دولارين أمريكيين ونصفاً، أو حوالي عشرة ريالات سعودية، فأردت أن أتأكد من ذلك فسألتهم عن سعر الكيلو الواحد من الطماطم، فاستعظموا ذلك وقالوا: لا يوجد من يشتريه بالكيلو. لأن ثمن الكيلو منه غالٍ. وهذا صحيح إذ يساوي ٢٢ريالاً سعودياً تقريباً .

المؤلف في سوق الخضرات والفاكهة قرب روزو العاصمة

والأدهى من ذلك أن هذا الغلاء فيها مرده إلى كونهم يستوردونها من الخارج مع أن بلادهم مطيرة وفيها ٣٦٥ نهراً؛

وذكرت أننا في بلادنا الصحراوية الغبراء نبيع كيلو الطماطم في البقالات بثلاثة ريالات أو أربعة، وأما الذي يشتريه من سوق الخضرات بالصندوق فإنه يحصل على الكيلو الواحد بما يساوي الريال الواحد على وجه التقريب.

واعتقدت أن البركة حلت بما تنتجه بلادنا ، وخلت منها هذه البلاد ؛

ولا يقول قائل: إن الطماطم لا تنبت في الجواء المدارية ، فقد رأيت بلداناً كثيرة مدارية الموقع تزرع فيها الطماطم بكثرة ، وتنتج مقادير منها جيدة .

وفي السوق بطاطس غير جيدة ،ومن اللافت للنظر أن إحدى البائعات رأتني أكتب شيئاً في مذكرتي ، فقالت: عربي. فسألتها : كيف عرفت ذلك ؟ فقالت : من الحروف العربية ، ولا أدري أين قرأت الحروف العربية ، ولكنها ذكرت أنها غير مسلمة .

في ريف دومنيكا :

خرجنا من المدينة فدخلنا فجأة في الريف ، وذلك لصغر المدينة وعدم انتشار ضواحيها المتصلة بها ، وسرنا مع الطريق الخطر الواقع بين الجبل الواقف والبحر المنخفض ، وهو طريق المطار الذي قدمت منه أمس .

والجبل أخضر إلا أن خضرته خضرة غابات ، أي أنها من أشجار وحشية غير مغروسة ، وليست فيها أشجار مثمرة كأشجار الفاكهة مثلاً .

ووصلنا قرية (كين فيلد) التي فيها المطار الذي نزلت فيه أمس ، وقد اتسعت بعده المساحة التي بين الجبال والبحر في ريف خصب خالص رأيت فيها أبقاراً سماناً ترعى الأعشاب الخضر .

وذكر الأخ المرافق أن سبب تسمية هذه البلدة (كين فيلد) بمعنى حقل قصب السكر أنها كانت في الأصل مزارع لقصب السكر.

وقد مررنا بمكتب شركة (ليات) التي تسير الطائرات الصغيرة فاشتريت منها تذكرة من أنتيقوا إلى سان مارتن ، وكانت الشركة قد ذكرت لنا ونحن في مارتنيك: أنها لا تستطيع قطع تذكرة إلى سان مارتن لأن أهلها لم يستطيعوا توفير الأماكن والفنادق اللازمة للسياح فيها بعد الإعصار

المدمر التي كان قد ضربها قبل أكثر قليلاً من شهر، ولكن يظهر أنهم سمحوا بعد ذلك، وقد زرتها بعد ذلك، وذكرت زيارتي لها في الكتاب الثالث من هذه السلسلة من الرحلات الكاريبية، وهو الذي بعد هذا الكتاب، وعنوانه: « قوادي لوب وأنتيقوا وسان مارتن ».

ثم انطلقنا من المطار مبتعدين عن جهة المدينة موغلين في الريف، فوجدنا المنازل في هذا الريف هي من الخشب، وسقوفها من الصفيح. وبعضها من لبن الإسمنت المطلي بطلاء أبيض.

قرية ما هو:

هذا الاسم الذي جاء على صيغة الاستفهام ليس له علاقة بالاستفهام لأنه اسم أعجمي، وهذا بدهي، ولكنه ذكرني ببلدة زرتها في جزيرة سيشل الواقعة في البحر الزنجي، إذْ كان اسمها (ما هي) وليس له أيضاً علاقة بالاستفهام؛ بل هو اسم أعجمي مؤلف من كلمة واحدة. وقد ذكرت ذلك في كتابي « جولة في جزائر البحر الزنجي » المطبوع.

وقرية (ما هو) صغيرة واقعة على شاطئ البحر وهو هلالي الشكل، تغسله الأمواج باستمرار.

وشاطئها أسود اللون ومهمل لا عناية به.

دخلنا مع شارعها الضيق الذي لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة، إذا وقفت فيه سيارة أخرى.

أكثر بيوتها من الخشب الذي يقطع من غابات بلادهم، ومن هذه البيوت قليل مبني بلبن الإسمنت.

والناس يبدون كالأفارقة الذين لم يغادروا إفريقية.

ورأيت بعض البيوت الخشبية فيها مثلما عليه كثير من البلدان المطيرة

الرطبة مثل مدغشقر؛ حيث يرفعون بيوتهم الخشبية عن وجه الأرض بدعائم خشبية.

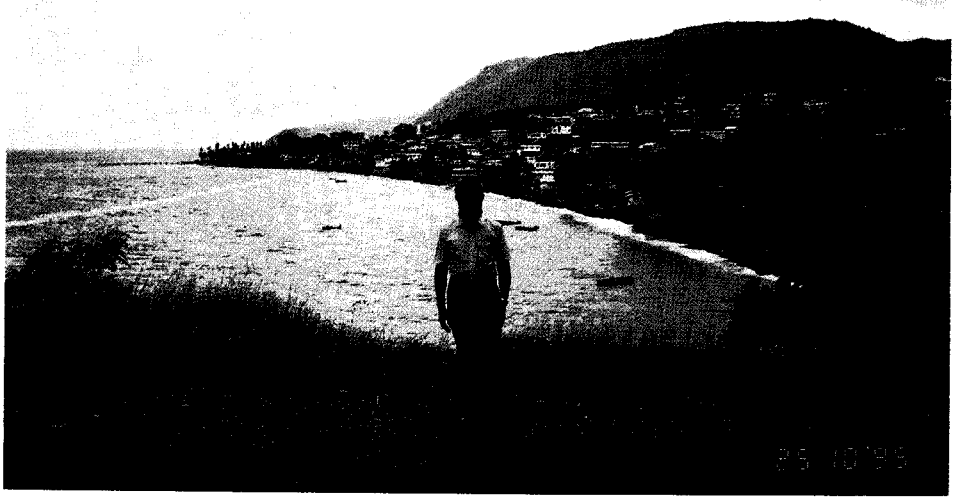

المؤلف على شاطئ قرية (ما هو) في دومينيكا

مصنع زيت النارجيل:

لم نقف في قرية (ما هو) إلا وقفة خفيفة للتصوير، وتجاوزناها صاعدين في الجبال التي قربت من شاطئ البحر، فمررنا بمصنع لجوز الهند وهو ثمار النارجيل، وهذا المصنع مختص باستخراج الزيت من جوز الهند وتهيئته لاستعمالات أخرى، منها إدخاله في صناعة الصابون، واستعمال حثالته، أو شئت قلت: ثفله، علفاً للدواجن.

وقد سألته وبلادهم خضراء مطيرة واسعة تطّرد فيها الأنهار الكثيرة عن الوجبة الرئيسية في الغذاء عندهم فأجاب: إنها الأرز والخبز، ولا شك في أن ذلك يقصد به الوقت الحاضر. أما في القديم فإن الخبز ليس رئيسياً

عندهم، لأنه لا ينبت في منطقتهم، وإنما يستوردونه، وقال الأخ لورنس: نحن نستورد الآن الأرز والقمح ولكننا نأمل أن يتغير الحال في المستقبل فننتج ما يكفي شعبنا من الغذاء.

هذا وقد استمر سيرنا مع الطريق الوحيد الذي يذهب في هذا الريف بعيداً عن جهة المدينة، وهو طريق ضيق ومتعرج، وصعد في سفوح التلال الجبلية الخضر، ثم ساحل - أي صار يسير على ساحل البحر - في مضيق بينه وبين الجبل الواقف تخشى على نفسك وسيارتك من التدهور منه إلى البحر.

المؤلف في موقع جبلي مشرف على الشاطئ قبل الوصول إلى قرية لايو في دومينيكا

ولاحظت أن هذه المنطقة تكاد تكون غير مسكونة رغم صلاحيتها لذلك، فهي على ساحل البحر حيث يتيح ذلك صيد السمك من البحر للصيادين، وتمكن الزراعة في سفوح الجبال الخضر الدائمة المطر، لا سيما أن المضيق ما بين البحر والجبل يتسع في بعض الأحيان، ويتسع الساحل في

بعض الأحيان. ولما كررت عليه قولي: إن الطريق خطر في هذه المضايق اليابسة ما بين الجبل والبحر، قال: ليس عند الحكومة مال لإصلاحه .

ثم وصل الطريق إلى غابات النارجيل الذي يثمر جوز الهند، وكان القياس أن تكون أكثر لصلاحية الأرض و الطقس لذلك، ولكون شجرة جوز الهند كنخلة التمر التي تشبهها في المظهر على البعد إذا علقت بالأرض لم تحتج إلى كبير عناية، ويستفاد من كل شيء فيها حتى النفايات مثل غلاف جوز الهند الذي يؤكل زيته أو يشرب منه، فإنه يستخرج منه حبال قوية تسمى في الهند كنبار، وكنا نعرفها فنستوردها من جنوب الهند .

وقد غام الجو بسرعة، وتحركت الريح الرطبة فخشينا المطر .

نهر لايو:

تجاوزنا غابة النارجيل، وصعد الطريق سفح التلال تاركاً البحر إلى حين قصير، فمررنا بجسر على نهر كبير اسمه (لايو)، وهو يسرع بمياهه المتدفقة إلى البحر القريب .

لم نقف عند الجسر، وإنما انحدرنا نباري النهر في سيره القصير إلى البحر؛ حيث وقفنا عند قرية اسمها (لايو) على اسم النهر، وهي واقعة على مصب النهر في البحر، حيث تختلط مياهه بمياه البحر عند المد .

والقرية صغيرة يعمل أكثر أهلها في صيد السمك من النهر والبحر، وفيها شجر من النارجيل كثير، والنارجيل مهم في الإدام إذْ يستعمل زيته في الطعام .

وأكثر بيوتها من لبن الإسمنت ومن الأخشاب في حالة غير وجيهة، ورأيت بيتاً من الأخشاب الساذجة غير المتساوية يهيئه صاحبه للبناء، وإن لم يسكن فيه فصورته، كما التقطت صورة لشخصين من أهلها عند باب بيتهما.

بيت من الخرق والأعواد في قرية (لايو) الواقعة على النهر العظيم وسط خضرة كثيفة

ورأيت عدداً من النساء يغسلن ملابسهن في مياه النهر، وهن يخضن مياهه.

ولا يوجد في هذه القرية مسلمون. فقلت للأخ لورنس: أرجو أن يوجد مسلمون في هذه القرية وأمثالها في المستقبل، وأن يكون لهم مسجد يعرف منه وجودهم فيها. فقال: هناك عدد من أهل البلاد الطيبين لا شك أنهم سوف يستجيبون لداعي الإسلام إذا وجد الدعاة الصالحون المتفرغون للدعوة. لأن أكثر الناس هنا غير متعصبين للديانة المسيحية التي يظهرون أنهم يعتنقونها.

ورجع الحديث إلى القرية فقال الأخ لورنس: إن كيلو السمك يباع في المتوسط داخل المدينة بخمسة عشر دولاراً كاريبياً، وهنا يساوي ستة دولارات أمريكية ونصفاً.

وهذا سعر غال، بل هو أغلى من ثمن السمك في بلادنا بكثير إذا نظرنا إلى الأنواع المتوسطة منه .

واستمر سيرنا تاركين القرية مع منطقة غابات قطعوا جزءاً من غاباتها حتى يهيئوها للزراعة الحقلية .

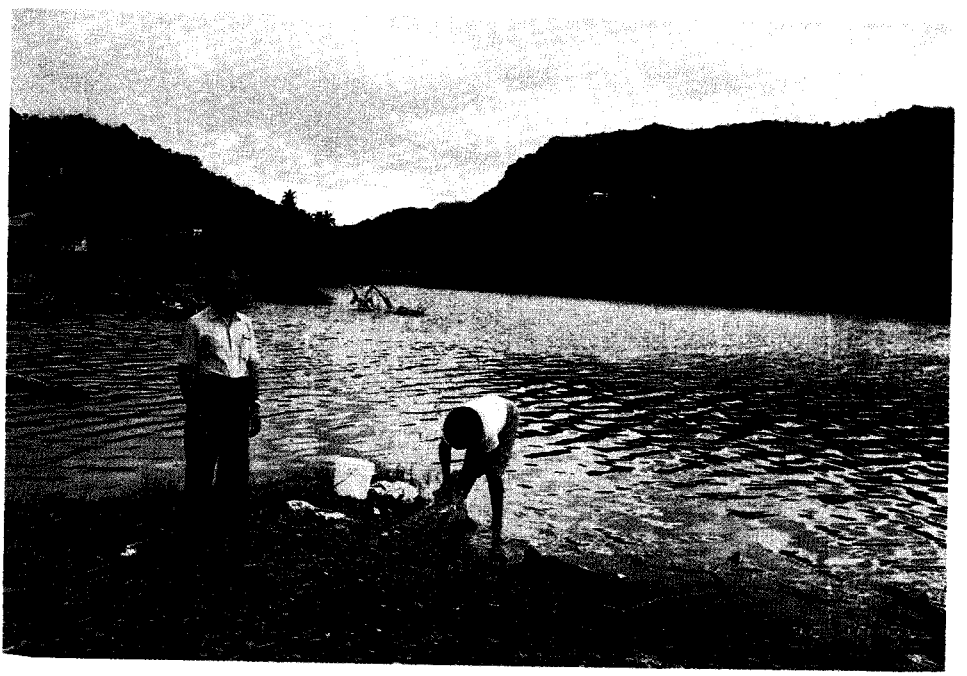

المؤلف على ضفة نهر لايو في دومينيكا وامرأة تغسل الملابس في مياهه

قرية سان جوزيف :

وصلنا إلى قرية اسمها (سان جوزيف) واقعة على سفح جبل أخضر قد ضاق ما بينه وبين شاطئ البحر حتى أصبح أسفل القرية على البحر، وأعلاها على سفح الجبل مع صغر القرية .

وقفنا في الجبل المرتفع المطل عليها نستجلي منظرها، ونعجب من موقعها الذي ذكر الأخ لورنس أنهم اختاروه على ساحل البحر ليصطادوا السمك منه.

وهذا عجيب إذ المفترض أن يستفيدوا من الزراعة في هذا الجو الأخضر الندي، لا سيما أن القرية يمر بها نهر صغير، وقد أقاموها قرب مصب النهر.

ولا يوجد مسلمون في هذه القرية، والقول فيها كالقول في التي قبلها من أن المتيقن أنه لو وجدت دعوة إسلامية نشطة لدخل الناس أفواجاً في الدين الإسلامي الحنيف. لأن الديانة المسيحية لم تتغلغل في أعماق النفوس في هذه البلاد، هكذا شعرت، وكذلك أخبرني أهل العلم من أهلها بأحوال القوم.

وحول القرية غابة ملتفة عذراء، أي لم يدخلها تغيير أو تهذيب، وفي الجبل الملاصق لها بيوت بيض تابعة للقرية.

وقد اجتمع لهذه القرية البحر بزرقته الصافية، والجبل بخضرته الأنيقة، والنهر وهو يحمل الخصب من الجبال إلى البحر دون أن يرزأه منه أحد من الناس.

ومع ذلك فإن الظاهر على أهلها هو الفقر والمسكنة وغلبة الحاجة، ولا يرى المرء أنهم استفادوا من هذه الإمكانات الاقتصادية المتوفرة.

وقد انحدرنا من الجبل إلى القرية مع طريق ضيق سيئ الزفلتة، بل إن أكثره قد عمه التكسير والخراب حتى خشيت على سيارة أخينا ومرافقنا منه، ولكنه لم يبال بذلك حرصاً منه على تلبية رغبتي في الاطلاع.

وكان الانحدار حاداً والشارع الضيق الذي لا يتسع إلا لسيارة واحدة تحاصره بيوت من طابق واحد أكثرها يوحي بالحاجة، وعدم الوجاهة، بل إنها تشبه الأكواخ، لاسيما أن طائفة منها هي من الخشب. والسكان هم أفارقة أصلاً، وتكاد تسرع وتقول: وفرعاً أيضاً؛ لأنهم لا يختلفون في المظهر عن الأفارقة بشيء.

ورأيت فيها عدداً قليلاً من ماعز شتر، والشتر: جمع شتراء، وهي القصيرة الأذنين مع وقوف أذنيها، وقومنا يذمون العنز بصغر أذنيها،

ويمدحونها بطولهما .

وقلت للأخ: لماذا لا يكثر الناس من المواشي ما دام أن الرعي كثير، بل ربما يضايق بكثرته ؟ فقال: ذلك يحتاج إلى رأس مال، وهذا مثل التوسع في اصطياد السمك عن طريق استعمال المعدات الحديثة التي تحتاج إلى وجود المال.

وقلت في نفسي هنا ما سبق أن قلته في بلدان مشابهة: إنهم شعب فقير في بلاد غنية.

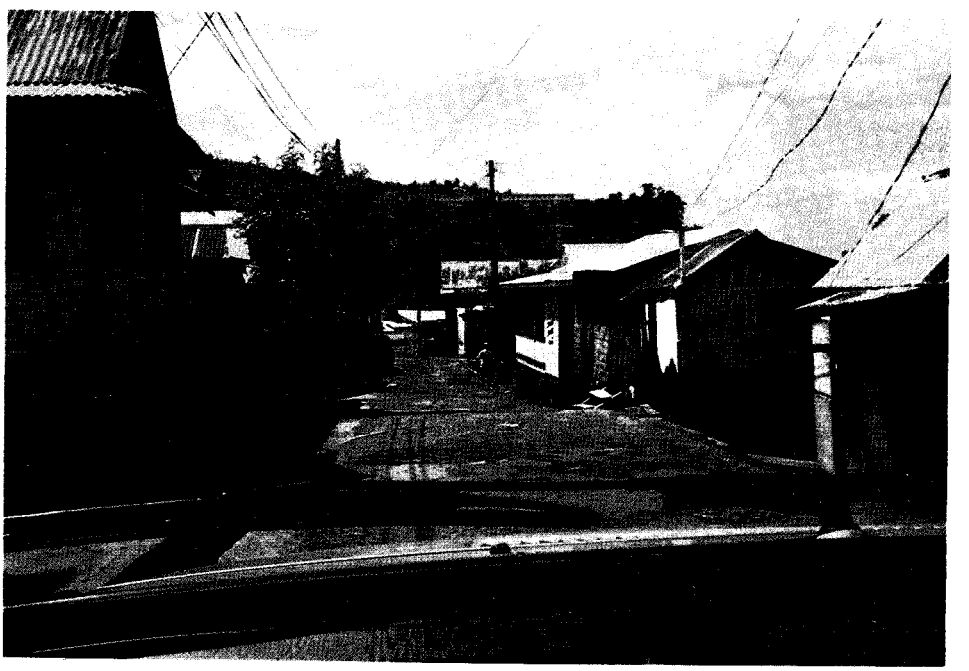

صورة من السيارة للشارع العام في قرية سان جوزيف في دومينيكا

وتبعد قرية (سان جوزيف) عن العاصمة روزو بـ ٣١ كيلو متراً، ولكنها تعادل ١٠٠ كيلو أو أكثر من طرقنا الواسعة الواقعة في الصحراء المفتوحة، فالطريق هنا ضيق ومحاصر من البحر والجبل، ومتعرج أيضاً.

وقد سرنا قليلاً بعدها مبعدين عن المدينة موغلين في الريف، فوصلنا

قرية لم يعرف المرافق اسمها .

ومن هناك بدأنا العودة إلى العاصمة (روزو)، ولكنها عودة متأنية. وسوف نقف في مكان أو مكانين في طريق العودة لأننا سنمر بفرع آخر للطريق قبل أن يعود فيصبح طريقاً واحداً .

الماء عندنا وعندهم :

في هذا الجو الرطب المليء بالأنهار والنهيرات، والمطر ينزل أحياناً بسرعة، ثم تشرق الشمس بسرعة، سألني الأخ لورانس عن الماء أهو متوفر في مدننا الصحراوية ؟ فقلت له: إنه متوفر ولله الحمد، ونحن ندفع قيمة لما نحتاجه منه أقل مما يدفعون رغم كون بلادهم بلاد أنهار وأمطار، وقلت له: نحن نشرب من البحر، فأجفل من ذلك، وبينت له أن المياه التي تجري في داخل بيوتنا أصلها مياه بحرية محلاة، فعجب من ذلك وحق له العجب .

قرية بلفاست :

أقبلنا على قرية جميلة المنظر معتنى بها حتى إن الزهور مغروسة على جانبي مدخلها، والأبنية فيها أبنية حديثة، قال الأخ: إنها لسكن الأثرياء، وأول ما لقينا منها حديقة منسقة مغروسة فيها الزهور وأشجار الزينة، وشوارعها منسقة .

ولما سألته عن السبب في كونها كذلك دون غيرها من القرى التي رأيناها من قبل، قال: هذا من أجل وفرة المال عند أهلها .

والغريب أن الجو صحا عندما وصلناها، فأشرقت الشمس التي كانت خلف الغيوم قبل ذلك، إلا أن السحاب المتراكم يجلل الآفاق.

وقفنا عند مدرسة جيدة في هذه القرية، مؤلفة من طابقين مبنية بالإسمنت المسلح، وكان طلابها يلعبون في فنائها المفتوح الواسع لكونهم في

فسحة بين درسين، فسمعنا المكبر يناديهم بالإنجليزية لدخول الفصول بعد الفسحة.

الزهور الجميلة في شارع قرية بلفاست في دومينيكا والمؤلف يتأملها

ونكرر بهذه المناسبة أن اللغة الإنجليزية هي الوحيدة التي يتفاهم بها الناس فيما بينهم في هذه البلاد. ولباس الطلاب نظيف يتألف من قميص قصير الكم، وسروال غليظ (بنطال).

وعندما اطلعنا على ضواحي القرية الجيدة وجدناها ليست بذاك، لأنها لقوم من ذوي الدخول المتدنية. فعدنا إلى الشارع العام الذي هو الطريق العام.

وحاولت أن ألتقط صورة لشارع القرية فلم يجد السائق موقفاً لسيارته لأن الشارع أضيق من أن يتسع لوقوفها بدون أن تتوقف الحركة فيه.

وبيوت هذه القرية خلاف القسم الجيد الحديث منها، صغيرة قريبة السقوف حتى لتبدو كأنما هي أقزام البيوت عند تلك البيوت الجيدة.

قرية ماساك :

فارقنا قرية بلفاست فوصلنا بسرعة إلى قرية أصغر منها اسمها (ماساك) بيوتها مقسومة ما بين شاطئ البحر الضيق والتلة التي تحاصره، وهذه التلة متصلة بالجبال العالية التي تجللها الغابات، فسألت أخانا السائق بهذه المناسبة عما إذا كانت في هذه الغابات وحوش مفترسة فأجاب: إنه لا توجد فيها وحوش، وإنما يوجد حيوان الصيد كالأرانب .

قرية تين فيلد :

وهذه قرية صغيرة غير أن شارعها الواقع على الطريق العام ممتد على ضيقه، وإن كان أوسع من شارع القرية التي قبلها، وشارعها هذا يكاد يكون وحيداً فيها، فليس لها عمق في الداخل .

وقد ركد فيها المرور الذي لم يكن يقصدها بالطبع، وإنما يذهب مع الطريق عبرها إلى القرى المجاورة، وهو قادم من العاصمة أو بالعكس فوقفنا خلف صف طويل من السيارات ما لبث أن امتد خلفنا إلى مسافات طويلة لأنه مؤلف من سيارة خلفها سيارة أخرى، وذلك لأمر لا نعرفه، وقال بعض السائقين: إنه ربما يكون نتيجة لحادث في الشارع في الجزء الذي لا نراه منه لأنه ينعطف .

وكانت فرصة غير مقصودة لكي أتأمل هذه القرية وألتقط صورة لشارعها، وركود السيارات فيه.

ويمر بها نهر صغير أيضاً، ساءلت نفسي مرة أخرى: لماذا لا ينتفعون من مائه، بل لماذا لا يزرعون هذه المساحات الخضر الخالية من العمارة بزراعة نافعة، ورأيتهم جملوا ناحية من الشارع بزرع زهور الزينة فيه .

وتشرف الجبال الخضر على هذه القرية الصغيرة وعلى شاطئها المنبسط الجميل .

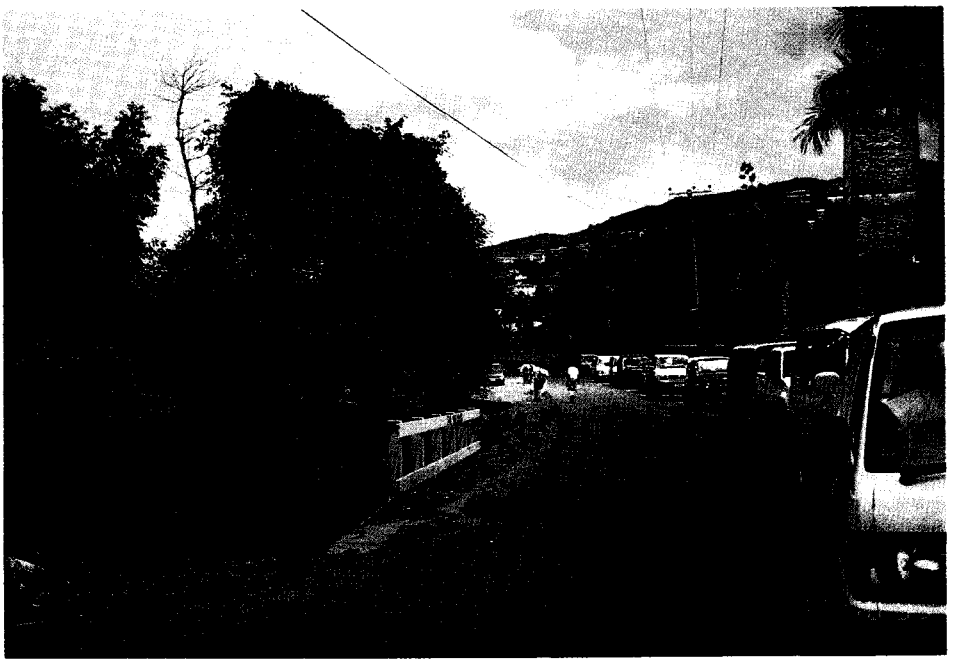

المرور الراكد في قرية تين فيلد في دومينيكا وهذه الصورة لشارعها العام

وقد غامت السماء فجأة بسحاب أسود ثقيل، ثم أمطرت لكنها سرعان ما وقفت، شأنها في ذلك شأن المناطق الاستوائية .

وقد طال وقوفنا في شارعها أمامنا وخلفنا السيارات الأخرى التي هي واقفة مثلنا، وقد ضايقني ذلك حذراً من ضياع الوقت .

وأخيراً تحرك السير في الشارع فأسرعت مئات السيارات بالاندفاع، وتبين أن سبب الركود هذا هو أن سيارة نقل تعطلت في جزء من الطريق ضيق بين البحر والجبل، فكان لابد من إصلاحها لأن إزاحتها لا تزيل عرقلة الطريق لضيقه. ورأيت الشرطة مجتمعة عند هذه السيارة الناقلة وهم يسيرون السيارات واحدة واحدة. ورأيت بجانبها أسلاك الكهرباء واقعة على الأرض، والظاهر أنها تسببت في سقوطها، وهي ذات كهرباء عالية الضغط .

العرب في دومنيكا :

كنت طلبت من الأخ لورانس ونسدل) أن يدلني على أحد العرب الموجودين في جزيرة دومنيكا هذه، وكان أخبرني أنه يعرف عربياً مسيحياً وقصدي من ذلك معرفة حال العرب فيها إن وجدوا، ثم السؤال عما إذا كان يوجد فيها أحد من المسلمين العرب .

وقد وقفنا عند متجر كبير (سوبر ماركت) بجوار محطة لبيع الوقود فقال الأخ لورانس: إن هذا المتجر الكبير، ومحطة الوقود كلها للعرب إنهم أغنياء .

ثم نادى من داخل المتجر فتى عربياً ما لبث أن جاء وحيّا، فأخبرته أنني من المملكة العربية السعودية جئت إلى هذه البلاد، وأردت أن ألتقي بأحد العرب حتى أسأله عما أريد معرفته منهم .

وقد أبدى سروره بذلك، وانطلق من دون تحفظ يحدثني عن ذلك فقال: اسمي (إبراهيم بن برهوم) من بزعوت في لبنان، وأنا مولود في هذه الجزيرة غير أن أهلي أرسلوني وأنا كبير إلى لبنان، حيث تعلمت اللغة العربية هناك، ولذلك تراني أتكلم العربية بطلاقة .

وذكر أنه مسيحي وقال: يوجد الآن في الجزيرة أسرتان من العرب اللبنانيين، وكان يوجد أيضاً أسرتان من السوريين غير أنهم سافروا إلى الولايات المتحدة .

وذكر أنه يعمل في هذا المحل الكبير الذي تملكه أسرة لبنانية ثرية كبيرها اسمه (نصيف حنا)، وهو لبناني مسيحي أيضاً .

وقد ذكر أن والده يعمل في العمارة، وأنه هو نفسه يشتغل بالتجارة مع هذه الأسرة اللبنانية .

وذكر أنه لا يوجد أحد من المسلمين العرب في الجزيرة. وعلى ذكر

الوجود في الجزيرة ثم الهجرة منها قال بالعربية التي لا يفهمها مرافقي بطبيعة الحال: القوم هنا طيبون ومسالمون، وأنا منذ عقلت الأمور قبل ٣٠ سنة لم أشهد حادثة واحدة ضايقونا فيها، ولا أذكر أن أحداً آذانا منهم، وحتى معاملتهم جيدة .

ويقع محله على مشارف العاصمة في منطقة ريفية.

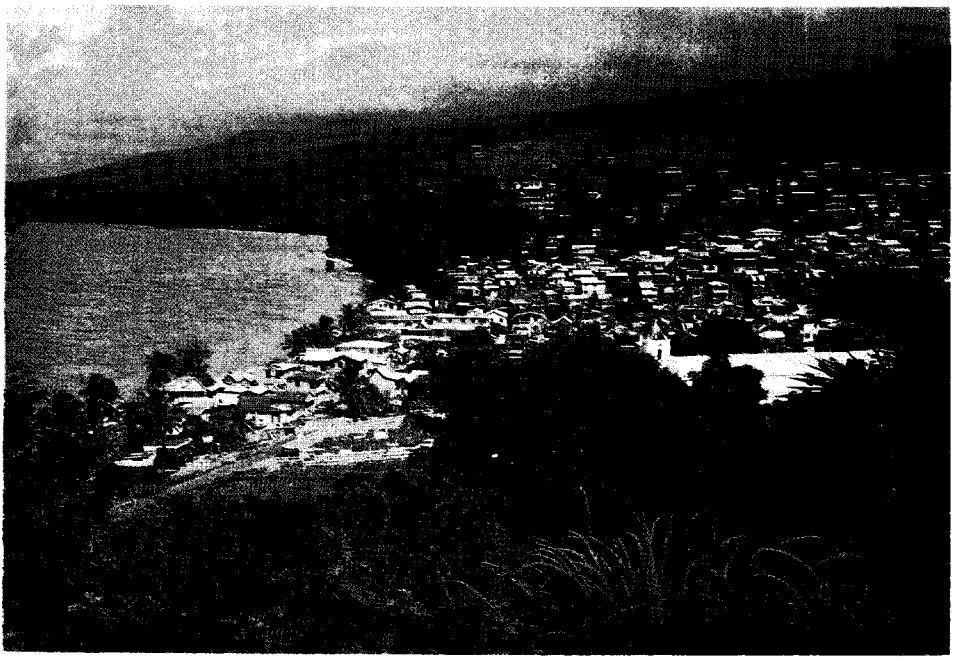

القرى في ريف دومينيكا تقع في الغالب بين أحضان الجبال الخضر، وشاطئ البحر كهذه القرية

العودة إلى العاصمة:

عدنا إلى العاصمة(روزو) في الثانية عشرة والنصف، فقصدنا فندقي الذي أسكن فيه واسمه (دومنيكا قاراوي هوتل)، ولا أدري معنى قاراوي، ونحن نتصبب عرقاً من فرط الرطوبة رغم نزول المطر في بعض الأحيان، وهو مطر من سحاب استوائي ما يلبث أن ينقشع وتشرق الشمس حارة بل لاهبة .

وقد أشعلت مكيف الغرفة، وصنعت الشاي لي وللأخ المرافق لورانس، وشربنا الشاي على تمرات جيدة من السبَّاكة، وهي نخلة من كرائم النخل في القصيم، ولديَّ في بستاني في بريدة عدة نخلات منها، فاعجب الأخ لورانس بتمرها كثيراً.

حاولنا أن نتحدث مع الإخوة المسلمين في جزيرة (قوادي لوب) التي سأذهب إليها في هذا المساء حتى يستقبلوني في المطار، لا سيما أنها أرض فرنسية، لغة أهلها الفرنسية التي لا أحسن التحدث بها، ولكن ذهبت محاولتنا سدى، وخسرنا مبلغاً كبيراً من المال لأن الأخ لورانس كان إذا أشكل عليه رقم معين اتصل بإدارة الهاتف وتحدث إليهم عنه، فعل ذلك عدة مرات. والفندق يضاعف أجرة المكالمة بالنسبة إلى سعرها إذا كان المرء يتكلم من هاتف له خاص كما هو معروف.

العرب في مطعم الكريول:

كلمة الكريول تعني بالإنجليزية والفرنسية المختلط، والمراد بذلك اللغة المختلطة، وقد يكون المراد به الناس، لأن الناس هنا كلهم كريول بمعنى أنهم مختلطون وليسوا من قبيلة واحدة، لأن آباءهم أحضرهم الأوربيون هنا أفراداً أرقاء لا يعرفون قبائلهم. وليس هذا المقصود، وإنما ذلك أننا وقد بلغت الساعة الواحدة، كان الفندق أمهلنا إلى هذا الوقت، أنزلنا أمتعتي، وحملناها في سيارة الأخ لورانس، وذهبنا للغداء في مطعم قريب من الفندق هو أرقى المطاعم هنا اسمه (لاروب كريول)، ومعنى كلمة روب: ثوب.

وهو غاية في النظافة والترتيب تشعر إذا دخلته كأنما أنت في مطعم أوروبي. وكنت طلبت من الأخ لورانس أن يلتمس لي مطعماً نظيفاً ليس ذلك من أجل الأكل في مطعم ذي مظهر أوروبي، وإنما هو الحرص على النظافة.

وبينما كنا في المطعم إذا بثلاثة من العرب وفتاة واحدة يدخلون المطعم

ويتحلقون حول مائدة واحدة، وسلم أحدهم على رفيقي الأخ لورانس، فقال: إنه يعرفه لكونه يحضر لصلاة الجمعة في بعض الأحيان رغم كونه يسكن في بلدة (بورت اسمث).

والأخ العربي من قطر، لكنه ذكر أنه باكستاني الأصل، وحدثنا أنه يدرس مع هؤلاء الذين معه في كلية طبية موجودة في بلدة (بورت اسمث)، وذكر أن تلك الكلية معترف بشهادتها في الولايات المتحدة الأمريكية، بل إنها تعتبر فرعاً لإحدى الكليات الطبية المعروفة في أمريكا.

وقال الأخ القطري: لدينا في بورت اسمث ثمانية مسلمين، وقال الأخ لورانس: بل هم أكثر، فالعرب وحدهم أكثر من ذلك، وكان فيهم طالب سعودي، لا أدري إلى أين سافر.

أما الغداء فإنه سمك جيد من نوع عندهم متميز، وأرز مع (داشين)، وهو الذي تقدم ذكره، ويأتون به قطعاً صليقة كالبطاطس، ومع السمك حبات من الفاصوليا والجزر صليقة أيضاً أي مسلوقة.

وطلبوا ثمناً لذلك ٤٣ دولاراً أمريكية لشخصين أنا والأخ لورانس، وهذا في نهاية الغلاء، لأن مثل هذه الوجبة في مطاعم المملكة لا تزيد على أربعة دولارات أمريكية للشخص الواحد.

وقد سارع الأخ لورانس ليحاول دفع ذلك من حساب الجمعية الإسلامية وقال: هذه ضيافتك على الجمعية، فمنعته من ذلك وقلت له: إنما جئت هنا لأساعد الجمعية، وليس لتتحمل عني أي شيء، ودفعت المبلغ نقداً بالدولارات الأمريكية.

في قلب المدينة التجاري:

ذهبنا بعد الغداء إلى متجر للأخ الحج (محمد عبد الله أخشباد) رئيس الجمعية الإسلامية للقائه، ورؤية متجره، والمتجر كبير واسع عامر بالبضائع

المتنوعة التي أهمها الأدوات والآلات الكهربائية، فيه ٧ أو ٨ عمال يعملون فيه من بينهم امرأة مسلمة عرفت ذلك من لباسها السابغ، ووجدنا الأخ – الحاج - على منصة عالية قد اتخذها مكتباً، ولكنه جعلها عالية ليشرف منها على أنحاء المتجر، ورأيته يأمر وينهى من هذا المكتب العالي، فذكرت ما سمعته عن بعض السلف الذين يأخذون بقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾ ووصفهم بعض الواصفين فقال: هؤلاء رهبان بالليل فرسان في النهار.

أما أنا فلا أعرف عن عمل هذا الأخ في الليل، ولكنني رأيته في متجره رجل أعمال مالية وإدارية جيداً، كما سمعت تلاوة القرآن الكريم من فمه وهو يقرأ في الصلاة حفظاً من أوسط القرآن مما أعجبني مع أنه يعتبر من حدثاء العهد بالإسلام، إذْ أسلم بنفسه بعد أن صار يطلب العلم خلاف ما كان عليه أهله وأسرته.

ثم صعدنا للمصلى الذي يقع فوق متجر الأخ الحاج محمد عبد الله أخشباد في مبنى يملكه، ومعي أحد الأخوة، وذلك للراحة قليلاً لأن موعد خروجي للمطار عليه بقية صالحة من الوقت.

وقد تضايقت من الحر والرطوبة رغم نزول المطر، وذلك أن المطر الذي وقع اليوم وأمس قطع الكهرباء، كما يقولون، أو هي توقعت حذراً من الصواعق كما يقولون أيضاً، ولا يطاق اللبث داخل المنزل في هذه البلاد بدون مكيف.

وبعد استراحة في المسجد الذي هو المصلى الوحيد في هذه الجزيرة حضر إلينا الأخ الحاج (أخشباد) ولم يكن معه من أعضاء الجمعية الإسلامية إلا شخصان هما اللذان حضرا معه البارحة. وكنت رغبت إليه أن يجمعني بأكبر عدد من أعضاء الجمعية، فسلمني دستور الجمعية الذي وافقت عليه الحكومة، وأعطيته بحضورهم ألفي دولار أمريكية للمساعدة في تسيير

أمور الجمعية، وذلك لكوني لم أقتنع من أن أدفع لهم زيادة على ذلك لما ذكرته .

وطلبت أن نذهب إلى مكتب الهاتف العام من أجل أن أكلم بيتي في الرياض، فقال الأخ رئيس الجمعية: يمكنك أن تتكلم من مكتبي وتدفع الأجرة التي يسجلها الحاسب الآلي عليَّ، فكلمت ابني (طارق) في الرياض، واطمأننت على أخبار أسرتي، وأخبرني الأخ الحاج بعد انتهاء المكالمة أنها استحقت ١٥ دولاراً أمريكية فدفعتها إليه .

إلى أرض المسجد :

مع الحاج محمد عبد الله إخشباد رئيس الجمعية الإسلامية في دومينيكا تحت شجرة في أرض المسجد

كان الإخوة في الجمعية الإسلامية وهم رئيسها الحاج (محمد عبد الله أخشباد) والأخوان معه وهما لورانس وبلال ويليم قد أخبروني أنهم اشتروا أرضاً في محل مناسب من المدينة ليقيموا عليها مركزاً إسلامياً، فذهبت معهم إلى حي آخر من العاصمة واقع في غرب الجزيرة فأرونا الأرض في موقع جميل مرتفع عن شاطئ البحر، وإن لم يكن بعيداً عنه . إلا أن الأرض ضيقة، إذْ لا تزيد مساحتها على ٤٠٠ م مربع، اشتروها بأربعة آلاف دولار أمريكية في عام ١٩٨٥م، وذكروا أنها تساوي الآن ١٢ ألف دولار أمريكي .

وذكروا لي أنهم يريدون أن يبنوها من طابقين، في الأسفل منهما مكتبة وقاعة اجتماعات، وفي الأعلى المسجد .

وتقع في حي يسمى تل الملك (كنقز هل). ووجدتها مفروشة بالحشائش الوحشية أي التي نمت بدون أن تغرس حتى يصعب السير عليها لكثافتها وتشابكها، وفيها شجرة (أنبة) وهي المانقو ضخمة جداً ذكروا أنها تحمل ثمراً كثيراً، لكن الفصل الآن ليس فصل الإثمار فيها .

وقد التقطنا صوراً تذكارية فيها، وقلت لهم: أرجو أن تكون هذه الصور مجرد ذكرى عندما يتم بناء المسجد على الأرض، وأخبرتهم بما جربته وهو أن كثيراً من الإخوة المسلمين أروني أراضي كانوا خصصوها لبناء مسجد عليها فالتقطت صوراً تذكارية فيها وهي أرض، ثم عدت إليهم بعد أن بنوها وأصبحت مسجداً، وقلت: إن عليكم أن تجتهدوا في البدء في بناء المسجد، وسوف ييسر الله أمركم ويساعدكم إخوانكم في البلاد العربية على ذلك. ولكن الأخ الحاج كان في حالة نفسية فهمت منها أنه يستبعد أن يتلقى مساعدة من البلدان العربية ويقول: لقد أديت فريضة الحج قبل سنتين، وما وجدت في بلادكم من يعرف شيئاً عن بلادي دومنيكا، وكانوا يسألونني أين تقع، وما هي، أهي جزيرة في البحر ؟ أم يابسة في البر ؟

هذا ولم أستطع أن أعده بشيء أستطيع الوفاء به بالمساعدة على ذلك من

رابطة العالم الإسلامي، لأن طريقة عمله في عدم اجتماعي بأعضاء الجمعية الإسلامية قد جعلني أرتاب في عدد أعضاء الجمعية، وما إذا كان المسلمون بالفعل قد ارتضوه رئيساً للجمعية، إلا أنني قلت له وأنا جاد فيما أقول: إنهم إذا بدؤوا البناء بالمسجد فإننا في الرابطة سنساعدهم على ذلك، وهذه هي العادة التي تتبعها الرابطة في أن تساعد من بدؤوا العمل في المشروع الإسلامي، لا من لم يبدؤوا فيه، إلا إذا كانت الرابطة تعرفهم معرفة حقيقية، ولديها إمكان الإشراف على صرف النقود التي تدفعها للعمل في ذلك المشروع.

المؤلف في ميدان الساعة في قلب بلدة روزو عاصمة دومينيكا

الخروج إلى المطار:

بعد استراحة قصيرة في المصلى خرجت إلى المطار مع الأخ (بلال وليم) بسيارته، وقد عرف شخصاً مسلماً وجدته في المطار، لأن كل واحد منهما يضع على رأسه قلنسوة - أي طاقية - التي صارت علامة على المسلمين،

فعرفني به وأنه مسلم جديد، وقد دخل معي هذا الأخ الجديد إلى قاعة المغادرة في المطار وهي صغيرة، لكن تبين أنه يريد جزيرة غير التي أريدها، فأنا أريد الذهاب إلى جزيرة (قوادي لوب) وهو يريد الذهاب الآن إلى جزيرة (أنتيقوا) التي سأذهب إليها بعد الانتهاء من زيارة (قوادي لوب)، فأخذ مني رقم رحلتي إليها وقال: سأنتظرك في المطار في الموعد المحدد، وقد اعتبرت ذلك نعمة من الله، لأن الإخوة المسلمين في الجزر السابقة لم يهتدوا إلى عنوان أحد من المسلمين في جزيرة (أنتيقوا).

وحدثني عن نفسه بأن اسمه الآن (طارق لانلياس)، وأنه أسلم منذ سنتين في لندن، وسمى نفسه طارقاً آنذاك.

هذا وقد ركب في رحلته قبلنا، وكان من المقرر أن تقوم طائرتنا في الخامسة والثلث وذلك قبل غروب الشمس بنصف ساعة؛ غير أنها تأخرت، وأقلعت عدة رحلات من طائرات كلها صغيرة بعضها لا يزيد مقاعدها على ١٢ مقعداً.

ورأيت الركاب هنا الذين هم من جزر مختلفة كلهم أسود اللون، فهم عالم متميز بذاته، فأشبهتهم بالعالم الأسود الموجود في جزر المحيط الهادئ الجنوبي الذين يبدون كالإفريقيين، وإن لم تكن لهم علاقة قريبة بإفريقية، مثل أهل جزر سليمان (سلمون آيلندز)، ونيو هبريدز التي تسمى الآن وانواتو، ونيو كلدونيا، وقد ذكرت كل هذه الجزر وغيرها في كتاب: " جولة في جزائر المحيط الهادئ " المطبوع.

ورأيت من بين هؤلاء الركاب زوجين من السياح الأوربيين البيض على ظهر كل واحد منهما حقيبتان كما يفعل السياح الشبان في العادة.

لا طيران اليوم:

حضرت طائرتنا في السادسة إلا الثلث أي بعد الموعد المحدد لقيامها

بثلث ساعة، وهي صغيرة جداً من ذات ١٨ مقعداً، ومع ذلك في غرفة القيادة فيها طياران من المواطنين السود أهل هذه المنطقة، أحدهما الطيار، والآخر مساعده، فصعدنا إليها في السادسة إلا عشر دقائق مع غروب الشمس، ولم يكن فيها من الركاب غيري إلا سبعة أشخاص وطفلان.

كنت جالساً في مقدمة الطائرة مما يلي مقعدي الطيارين، وليس بيني وبينهم حجاب، فسمعت الطيار يقول لموظف الشركة الذي كان واقفاً قرب الطائرة من جهة اليسار، وقد أشعل الطيار المحرك الأيمن من الطائرة: قل لهم يضيئون المطار لأن الشمس قد غربت. فأسرع الموظف يعدو ثم عاد يقول للطيار: إنهم لا يستطيعون ذلك، لأنه قد خرب ويحتاج إلى إصلاح؛

فغضب الطيار وقال بحدة: اليوم ما فيه طيران إلا إذا أضاؤوا مدرج المطار. ثم تجادل مع موظف الشركة، وذهب الموظف بعدها وعاد كالأول، فنزل الطيار ومساعده، وتركونا لا ندري ما نفعل.

الحقيقة أن الطيار على حق، لأن موقع المطار خطر جداً، فهو في مضيق بين الجبل والبحر، ويحتاج إلى إضاءة في الظلام، غير أن الظلام لم يستحكم بعد.

وبقينا في الطائرة حائرين، وكان جميع الركاب من السود، ثم جاء موظف الشركة وأخذنا ناحية، وقلت لإحدى الراكبات: يجب أن يسكنونا في فندق على نفقة الشركة، فقالت: المهم أن يطعمونا فأنا جائعة.

وبعد فترة من الوقت والانتظار أخبرنا موظف الشركة أنهم سيسكنوننا في فندق على نفقة الشركة، ويعيدوننا للمطار في الساعة السادسة من صباح غد استعداداً للسفر.

ثم نقلتنا حافلة صغيرة إلى فندق مجاور، وقد ذهب زوجان من الركاب مع طفلهما إلى بيتهما لأنهما من أهل المدينة.

وهذا الفندق صغير سيئ لا يصل مستواه إلى نجمتين، ومع ذلك كانت فيه مضايقات كثيرة، أولها أنهم أعطوني غرفة ليس فيها مكيف ولا مروحة، والجو حار رطب، بل خانق، لا يمكن للمرء أن يلبث فيه دون تكييف، في حين أعطوا المرافقين غرفاً فيها مكيف، وعندما أبديت لهم احتجاجي على ذلك قالت موظفة شابة مهملة فيه: سنحضر لك مروحة، وأحضرت مروحة إلا أن سلكها سيئ، فتركوني فترة في انتظار ممل، ثم جاء موظف وأصلح السلك إصلاحاً مؤقتاً ودارت المروحة فبددت بعض الرطوبة.

والمضايقة الثانية أننا ذهبنا لتناول العشاء في الطابق الأرضي من الفندق فقالوا: إنه غير جاهز الآن.

وبعد طول انتظار في الغرفة سألت الرفاق الذين كانوا تركوا غرفهم مفتوحة فذكروا أنهم تناولوا العشاء، فنزلت أسأل عن عشائي فقالت موظفة: إنه غير جاهز، وإذا جهز أخبرناك، وبعد انتظار طويل مللته ورأيت قذارة الماء وكونه أصفر اللون، فتصورت أن المطعم يأخذ منه فكرهته، طرقوا الباب، فقلت لهم إنني لا أريد عشاء، وبت طاوياً كما قال الأولون فيمن يبيت بدون عشاء.

وكان الصعب عليَّ أنني أردت الوضوء لأصلي المغرب والعشاء جمعاً فوجدت الماء الذي ينزل من الصنبور أصفر كالحناء، فتركته فترة يصب حتى يصفو، فلم يزده ذلك إلا تغيراً، وذكرت بذلك قول أحد الأعراب القدماء:

وأصفر كالحنَّاءِ طام جمامُه ... إذا ذاقه مستعذب الماء يبصُقُ

ولكن الأمر هنا مختلف، فالقوم في قرية أو بلدة، وربما كان لامس هذا الماء ما لوثه وأحال لونه إلى الصفرة، فأغمضت عيني وأغلقت فمي وتوضأت، ولم يكن في حمام الغرفة إلا فوطة واحدة صغيرة مسحت بها ظاهر

جسمي .

وقد أصابني العطش من الحر فقلت في نفسي: أصبر على ذلك إلى أن يصفو الماء قليلاً فأغليه وأشربه كما يفعل الصينيون حيث يشربون ماء الشرب حاراً ويقولون: إن شرب الماء البارد يضر بالبطن .

فأخرجت إناء صنع الشاي وهو يعمل على الكهرباء، ولكن الماء لم يصفُ، وزاد مع الوقت كدراً، وبت عطشان أيضاً .

ليلة ليلاء:

وكانت ليلة ليلاء، إذْ لم تخف الهواجس في ذهني وأنا الأبيض الوحيد – كما يسمون من هم في مثل لوني- بينهم من أن يفتح الغرفة علي فاتح ممن رأوا حقيبتي اليدوية، فيأخذون ما فيها بالتهديد أو حتى بالقوة، إضافة إلى الحر الشديد والرطوبة .

وفكرت في الاستقبال الذي فاتني في مطار (قوادي لوب)، وكان الإخوة حرصوا على أن يخبروا بعض المسلمين ليستقبلني هناك على رحلتي المقررة التي ألغيت، وذلك لكوني لا أحسن الفرنسية ولضيق الوقت. وزاد الطين بلة أن حشرات لاسعة كانت في الغرفة، إذْ لم يمسها مطهر من قبل.

يوم الخميس :٢/٦/١٤١٦ هـ-٢٦/١٠/١٩٩٥م

مغادرة دومنيكا :

كان موظف الشركة قد قال: إن الحافلة ستأخذنا من الفندق إلى المطار في السادسة. وقبل أن تكمل السادسة كنت أنزل لأكون جاهزاً للركوب، وكان درج الطابق الثاني من الفندق الذي نحن فيه ينزل على المطعم. فوجدتهم قد أغلقوا باب المطعم ولا يمكن الخروج منه، ولم أجد أي شخص في إدارة الفندق أو المطعم، فحاولت كيفية الخروج حتى وجدت أن باب المطعم الذي يفتح إلى الشارع مغلقاً ولكنه غير مقفل. وفي السادسة والثلث حضرت الحافلة وحملتنا إلى المطار القريب .

وقد تسلموا أمتعتنا دون أن يزنوها لكونهم فعلوا ذلك أمس، وإنما أخذوا منا بطاقة دخول الطائرة (البوردنغ باص) التي كانت معنا منذ أمس وأبدلوها بأخرى بتاريخ اليوم .

وكنت أمني نفسي بأن أجد شيئاً في المطعم يؤكل أو يشرب، فلم تكن هناك فرصة لضيق الوقت، إذْ أدخلونا إلى غرفة المغادرة بسرعة وهي صغيرة ليس فيها ما يباع مطلقاً.

ثم سافرنا إلى جزيرة (قوادي لوب) الفرنسية، والحديث عنها وفيما بعدها في كتيب آخر من هذه الرحلات الكاريبية عنوانه: « قوادي لوب وأنتيقوا، وسان مارتن ».

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف..... ٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات... ٩
مقدمة ١١
خط السير في جزر البحر الكاريبي ١٤
خريطة منطقة البحر الكاريبي ١٥
قرينادا ١٧
المسلمون في قرينادا :..... ٢١
من بارباروس إلى قرينادا :..... ٢٤
في مطار قرينادا :..... ٢٦
فندق لا مشكلة :..... ٢٨
صباح قرينادا : ٣١
إلى المركز الإسلامي :..... ٣٤
أول من أسلم من أهل البلاد :..... ٣٥
المركز العظيم : ٣٦
إلى مدينة سان جورج : ٣٩
ريقان بين قرينادا ولبنان : ٤٤
قلعة سان جورج :..... ٤٥
المركز الإسلامي القديم : ٤٧
بيت رئيس الوزراء :..... ٤٩
مطعم سلام بويند : ٥١
سانتا لوسيا ٥٥
من قرينادا إلى سانتا لوسيا :..... ٥٩
إلى مطار بارباروس :..... ٦١
عود إلى الحديث عن الطائرة :..... ٦٤
في مطار بارباروس :..... ٦٤
من بارباروس إلى سانتا لوسيا :..... ٦٦
في مطار سانتا لوسيا : ٦٧
فندق الكازيبيين :..... ٦٩
صباح لوسيا :..... ٧٣
لا جمعية إسلامية في لوسيا :..... ٧٤
جولة في سانتا لوسيا : ٧٥
في مدينة كاستروس :..... ٧٦
ميدان كولومبس :..... ٧٧
حي فولاشيو : ٨٠
وحي فيجي :..... ٨٠
وسجن النساء : ٨٢
مدرسة الموسيقى : ٨٤
المسلمون في سانتا لوسيا :..... ٨٦
الصعود للتلال :..... ٨٦
في القمة : ٨٧
بداية النزول :..... ٩٠
منظر فوق سطح القمر :..... ٩١
العودة إلى العاصمة : ٩٢
عرب مسيحيون :..... ٩٤
سوق الخضرات : ٩٨
مغادرة سانتا لوسيا : ١٠٠
جزيرة دومنيكا ١٠٥
المسلمون في دومنيكا :..... ١٠٨
من سانتا لوسيا إلى دومنيكا :..... ١١٠
في مطار فورت دو فرانس :..... ١١٢

إلى جزيرة دومنيكا :..... ١١٣
في مطار كين فيلد :..... ١١٥
مدينة روزو : ١١٦
في المسجد : ١١٩
صباح دومنيكا : ١٢٣
جولة في مدينة روزو : ١٢٣
من قلة السكان :..... ١٢٤
نبات الروزو : ١٢٥
أنهار بعدد أيام السنة :..... ١٢٦
هنا أرسى كولومبس :..... ١٢٦
شارع النهر : ١٢٧
عند مصب النهر : ١٢٨
بلاد الجبال :..... ١٢٩
سوق الخضرات :..... ١٣١
في ريف دومنيكا : ١٣٤
قرية ما هو : ١٣٥
مصنع زيت النارجيل : ١٣٦
نهر لايو : ١٣٨
قرية سان جوزيف :..... ١٤٠
الماء عندنا وعندهم : ١٤٣
قرية بلفاست :..... ١٤٣
قرية ماساك : ١٤٥
قرية تين فيلد :..... ١٤٥
العرب في دومنيكا :..... ١٤٧
العودة إلى العاصمة : ١٤٨
العرب في مطعم الكريول : ١٤٩
في قلب المدينة التجاري : ١٥٠
إلى أرض المسجد : ١٥٢
الخروج إلى المطار :..... ١٥٤
لا طيران اليوم :..... ١٥٥
ليلة ليلاء : ١٥٨
مغادرة دومنيكا : ١٥٩